الآفاق

مجلة أسبوعية تهتم بشئون الحوزات العلمية

- السنة الأولي
- العدد: ٣٥
- الأثنين
- ٢٥ صفر المظفر ١٤٤٥ هـ.ق
- ٢٠ شهريور ١٤٠٢ هـ.ش
- ١١ سبتمبر ٢٠٢٣ م
- ٨ صفحات
- ٢٠٠٠٠ ريال

العتبة العباسية: عدد زائري الأربعين تجاوز ٢٢ مليون زائر

مقالة

مسؤولياتنا تجاه الإمام الحسين عليه السلام في هذا العصر

الشيخ عبدالله اليوسف

الانتباه: الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

ترك الإمام الحسين عليه السلام بثورته الخالدة تاريخاً مشرقاً في مسيرة الأمة الإسلامية، وتراثاً عظيماً في التضحية والإيثار والفداء من أجل الدين، وتقديم أهل بيته وأولاده وأصحابه قرابين في سبيل الله تعالى، فلم يشهد التاريخ ثورة كثورة الإمام الحسين في أهدافها وتضحياتها ومنطلقاتها ورموزها، فهي بحق ثورة استثنائية في كل مشاهدها وصورها الدامية، ورسالتها المعبرة بكل قوة وشجاعة عن الحق والحرية والإصلاح.

والإمام الحسين عليه السلام قام بكل واجباته ومسؤولياته، وضحى بنفسه في سبيل الله، من أجل بقاء الدين، ومحاربة الفساد والظلم والانحراف؛ إذ نقرأ في زيارة الإمام الحسين عليه السلام (أشهد أنك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وأطعت الله حتى أتاك اليقين)

لكن السؤال المهم هو: ما هي مسؤولياتنا نحن تجاه الإمام الحسين عليه السلام في هذا العصر وفي كل عصر؟

للإجابة على هذا التساؤل يمكنني أن أشير إلى أبرز المسؤوليات والواجبات المهمة التي يجب علينا القيام بها تجاه الإمام الحسين عليه السلام وهي:

١. التمسك بالقيم والمبادئ

ثار الإمام الحسين عليه السلام من أجل أن يبقى الدين سليماً من التحريف والتضليل الذي مارسه بنو أمية، حيث انتشر في عهد يزيد الفساد علناً، وحُرِف الدين عن أصوله وفروعه، فأراد الإمام أن يسجل بنهضته درساً عملياً للحفاظ على المبادئ والقيم الدينية والأخلاقية، وهذا هو واجبنا أيضاً أن نتمسك بالمبادئ والقيم والمثل والأخلاق التي باتت في خطر في ظل انتشار القنوات الفضائية المنحلة، وما يقدمه الإنترنت من مواقع مخلة بالآداب والأخلاق، وانتشار الوسائل الجديدة والمتنوعة في نقل الصور الإباحية، والأفلام المروجة لثقافة العري والتحلل.

إن على كل واحد منا أن يسعى وبمقدار ما يستطيع من أجل تكريس المبادئ والقيم والأخلاق في البنية الاجتماعية، ويتم ذلك عبر التمسك بها، ونشرها في كل مكان، ومحاربة الرذيلة والفساد والميوعة التي يبثها الإعلام الفاسد إلى بيوتنا ومجتمعاتنا. فلنستذكر في ذكرى ثورة الإمام الحسين المبادئ والقيم التي من أجلها ضحى بنفسه، ولنعمل نحن أيضاً من أجل الدفاع عنها بمختلف الوسائل التي تناسب كل واحد منا.

٢. الاقتداء بسيرة الإمام الحسين

سيرة الإمام الحسين عليه السلام سيرة مشرقة وعظيمة، فالإمام الحسين عليه السلام قمة في الأخلاق، ومَثَل أعلى في العبادة والارتباط بالله، ومضرب المثل في الشجاعة والتضحية من أجل الدين، وعلينا لاقتداء بسيرته العظيمة؛ أن نقتدي بأخلاقه، وأن نقتدي بعبادته، وأن نقتدي بتضحياته، وأن نقتدي بصبره وقوته وشجاعته.

والذي يحب الإمام الحسين عليه السلام حقاً عليه أن يسير على نهجه، وأن يستمر على منهجه فلا يكفي لمن يحبه أن يبكي عليه، أو يلطم صدره وخده حزناً عليه، أو يحضر مأتمه... وإن كان كل ذلك مطلوباً وفيه ثواب وأجر عظيم، ولكنه إذا تحول إلى مجرد طقوس ميكانيكية، وعادات اعتدنا عليها بلا هدف أو غاية فإنها تفقد أي تأثير على من يمارسها بهذه الصورة السلبية، تماماً كمن يصلي ولكن صلاته لاتنهاه عن الفحشاء والمنكر، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ أما إذا كانت صلاتك لاتنهاك عن ارتكاب المحرمات، فعليك أن تشك في قبول صلاتك!

وكذلك إذا كنت تعزي على الإمام الحسين عليه السلام، وتبكي عليه أيام عاشوراء، وتلطم صدرك وخدك بكل قوة، ولكن أفعالك أبعد ما تكون عن منهج الإمام الحسين عليه السلام أو سيرته، فعليك أن تشك في قبول أعمالك!

فإذا كنت من محبي الإمام الحسين عليه السلام حقاً؛ فاقتدِ بأفعاله وأقواله، وتخلق بأخلاقه، وسر على نهجه، وحافظ على أركان الدين ومعالمه، ولا تترك واجباً، ولا تعمل محرماً، في كل أيام السنة وليس فقط في أيام عاشوراء كما يفعل بعض الناس!

٣. التعريف بالثورة الحسينية

إن من أهم مسؤولياتنا تجاه الإمام الحسين عليه السلام هو التعريف بثورته ونهضته المباركة، ويشمل التعريف منطلقات الثورة الحسينية وأهدافها ووسائلها وغاياتها، وما حدث فيها من معركة بين الحق والباطل يفوق حد التصور، والتعريف بشخوص هذه الثورة الحسينية لكل الناس.

ومن المهم للغاية أن يحتوي التعريف بالثورة الحسينية على قراءة تحليلية وليس مجرد قراءة سردية، لأن المنهج الأول هو الكفيل بإيصال أهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام بكل وضوح، ويساعد الأجيال المعاصرة على استيعاب الدروس والعبر لهذه الثورة المباركة.

ويجب علينا الاستفادة من الوسائل الحديثة كالقنوات الفضائية، والشبكة العنكبوتية والمجلات والصحف والأقراص المدمجة وغيرها للتعريف بثورة الإمام عليه السلام لكل شعوب الأرض وأممها.

ومن المفيد جداً أن يبادر التجار وأصحاب الأموال إلى وقف أوقاف خاصة للقيام بمثل هذه الأعمال الصالحة، كأن نوقف وقفاً لتأسيس قناة فضائية للحديث عن الإمام الحسين عليه السلام وثورته وسيرته، أو نوقف وقفاً لترجمة ما كتب عن الإمام الحسين عليه السلام بكل لغات العالم. وإذا كان في الماضي توقف الأوقاف لإقامة المآتم الحسينية، أو لإطعام المستمعين أو الزوار الطعام على حب الإمام الحسين عليه السلام، فإن الأوقاف في هذا الجانب كثيرة جداً، أما في هذا العصر فعلينا أن نساير التطور والتقدم العلمي والتقني للتعريف بالإمام الحسين عليه السلام وثورته وأهل بيته عبر الاستفادة من الوسائل الحديثة في التعريف بالنهضة الحسينية.

٤. الارتباط بمنهج الإمام الحسين عليه السلام

الإمام الحسين عليه السلام كباقي الأئمة الأطهار عليهم السلام رسموا لنا منهجاً للتعرف على الإسلام المحمدي الأصيل، وعلينا أن نسير على ذلك، ونرتبط بمنهجهم الذي من سار عليه نجا، ومن تخلف عنه غرق وهوى.

وكي يرتبط أبناؤنا بالإمام الحسين عليه السلام علينا أن نعلمهم محبة الإمام عليه السلام، وأن نصطحبهم إلى مجالس العزاء والتعزية، ونشجعهم على قراءة زيارة وارث، ونشرح لهم معاني هذه الزيارة الراقية، كما أن من الضروري أن نوضح لهم تفاصيل ثورة الإمام الحسين عليه السلام وأهدافها النبيلة.

والارتباط بمنهج الإمام الحسين عليه السلام يعني اتباع خط الإمام وفكره ومنهجه العلمي والعملي، أما ادعاء محبة الإمام ومودته بدون السير على نهجه فلا يعدو كونه حباً أجوفاً بلا معنى أو قيمة حقيقية.

٥. قراءة سيرة الإمام الحسين عليه السلام

وهذه المسؤولية من أضعف الإيمان، إذ يجب على كل واحد منا أن يقرأ ما يستطيع قراءته من كتب تتحدث عن السيرة العطرة لسبط رسول الله، وسيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي عليه السلام.

ومن المخجل حقاً أن نرى بعض شبابنا وشبائنا يعرف الكثير عن المشاهير في عالم الرياضة والفن والتمثيل، أو أسماء المشاركين في ستار أكاديمي أو سوبر ستار، لكنه لا يعرف عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام إلا العنوان فقط ومع ذلك يدعي مثل هؤلاء لأنفسهم أنهم من محبي الإمام الحسين عليه السلام!!

إن من أولى مسؤولياتنا تجاه الإمام الحسين عليه السلام أن نعرف سيرته، ونقرأ ما نستطيع مما كتب عنه، فليسأل كل واحد منا نفسه: كم كتاب قرأت عن الإمام الحسين عليه السلام؟ وما هي المعلومات التي أعرفها عن سيرته العطرة؟ وماذا أعرف عن أخلاقه أو عبادته أو زهده أو جهاده أو شجاعته أو صبره؟!

وأترك لك أن تجيب بنفسك عن نفسك!

٦- المشاركة في العمل الحسيني

كل مؤمن يتحمل مسؤولية في المشاركة في العمل الحسيني، وذلك بمقدار ما يمكنه في سبيل ذلك الهدف النبيل في تعريف الأجيال الحاضرة والقادمة بسيرة الإمام المباركة، ونهضته العظيمة.. فليعمل كل واحد منا بما يستطيع من أجل ذلك. ويمكن الإشارة إلى بعض ما يمكن القيام به:

١. تأليف الكتب عن الإمام الحسين عليه السلام، أو ترجمة ما كتب عنه بمختلف اللغات العالمية.

٢. تأسيس مواقع على الإنترنت للتعريف بالإمام الحسين عليه السلام، وبمختلف اللغات الحية.

٣. المساهمة عبر المحاضرات أو العزاء أو التمثيل، ونشرها من خلال القنوات الفضائية الملتزمة، ومواقع الإنترنت المتاحة، ومختلف وسائل الإعلام الحديثة.

٤. التبرع المالي لطباعة الكتب التي تتحدث عن الإمام الحسين عليه السلام، أو أي شيء آخر يخدم التعريف بالإمام وسيرته ويحتاج إلى دعم مالي.

٥. الاستفادة من التقنيات الالكترونية الجديدة للتعريف بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته الخالدة.

المصدر: العهد نيوز

الأخبار الدولية

قائد الثورة الإسلامية: اذا صمدتم ستصلون الى القمة

قال قائد الثورة الإسلامية آية الله العظمى السيد "علي الخامنئي" مخاطبا الشباب: إذا صمدتم ستتسلقون القمة وستصلون الى قمة سيادة دين الله وسيادة الحق والعدل وقمة الوصول الى المقصود والهدف من خلق البشرية وهو عبارة عن تكامل الانسان والكمال البشري.

وأشار إلى المشاركة المهيبة في مسيرة الاربعين من النجف إلى كربلاء وفي مدن البلاد، وقال مخاطبا الشباب: كما مضيتم بثبات على طريق مسيرة الأربعين، كونوا في طريق التوحيد، أقوياء وذوي إرادة ايضا، وعيشوا حسينيين وابقوا حسينيين دوما.

وكالة ابنا

رغم الحظر؛ طالبات يرتدين العباءة في أول أيام العام الدراسي بفرنسا

اد نحو ١٢ مليون تلميذ الإثنين إلى المدارس في فرنسا، في ظل حظر ارتداء العباءة والقميص، وفق قرار عنصري بررته الحكومة بوجوب احترام العلمانية، غير أنه أثار الجدل وطغى على تغطية وسائل الإعلام.

وكالة الحوزة

وفد إعلامي إيراني يلتقي رئيس الوزراء العراقي

التقى وفد من الصحفيين والإعلاميين الذين يمثلون مختلف وسائل الإعلام في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، اليوم الجمعة، رئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني.

وكالة تسنيم

السوداني لوفد إعلامي إيراني: ننتهج سياسة تقريب وجهات النظر الإقليمية

أكد رئيس مجلس الوزراء محمد شياع السوداني، اليوم الجمعة(٨أيلول ٢٠٢٣)، أن العراق ينتهج سياسة تقريب وجهات النظر الإقليمية.

وقال المكتب الإعلامي لرئيس مجلس الوزراء في بيان اطلع عليه (شفقنا العراق): إن" رئيس مجلس الوزراء محمد شياع السوداني، استقبل وفداً من الصحفيين والإعلاميين الذين يمثلون مختلف وسائل الإعلام في الجمهورية الإسلامية الإيرانية".

ولفت البيان، إلى أن" السوداني رحب بالوفد الصحفي الإيراني، مثمناً العلاقات التاريخية والراسخة التي تربط البلدين الجارين، والأواصر الدينية والاجتماعية التي تعزز الروابط الأخوية بين شعبي العراق وإيران".

شفقنا

آيةالله اعرافي: امواج مسيرة الأربعين ستهزم الاستكبار العالمي

صرح امام جمعة مدينة قم آية الله علي رضا اعرافي بان مسيرة الاربعين تحمل رسالة لاميركا والكيان الصهيوني واعداء الاسلام مفادها بان هذه الامواج هي صحوة العالم الاسلامي والمقاومة في سبيل الله وستستمر وتهزمهم باذن الله.

وكالة فارس

الملحق الثقافي الإيراني يشكر العراق لاستضافته السخية لزوار الأربعين

أشاد الملحق الثقافي للجمهورية الإسلامية الإيرانية في العراق بالشعب والمواكب والمراقد المقدسة والمسؤولين والشخصيات الدينية والمؤسسات الحكومية والعسكرية في العراق على استضافة زوار الأربعين. وكانت العتبة العباسية قد أعلنت في وقت سابق أن أكثر من ٢٢ مليون شخص من داخل وخارج العراق شاركوا في مسيرة أربعين الإمام الحسين عليه السلام هذا العام.

الكوثر

إيران تعلن مشاركة ٤ ملايين زائر إيراني في زيارة الأربعين هذا العام

صرح القائد العام لقوى الامن الداخلي الايراني العميد احمد رضا رادان بان اكثر من ٤ ملايين زائر ايراني شاركوا في مراسم الاربعين هذا العام. واشار إلى مغادرة عدد كبير من الرعايا الأجانب من حدود إيران للمشاركة في مراسم الأربعين، وأضاف: حتى اليوم، عاد أكثر من ٣٠٪ منهم.

ميدل ايست

طهران: سنستمر في تطوير البرنامج النووي ولن نتأثر بالضغوط

صرح المتحدث باسم وزارة الخارجية الايرانية ناصر كنعاني باننا سنواصل تطوير برنامجنا النووي السلمي والتعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية بشكل بناء ولن نتأثر بالتدخلات والضغوط السياسية والدعائية.

العالم

عشرات الآلاف يؤدون صلاة الجمعة في المسجد الأقصى

أدى آلاف المصلين، صلاة الجمعة، في رحاب المسجد الأقصى المبارك، وسط إجراءات عسكرية مشددة، فرضتها قوات الاحتلال على أبواب ومداخل البلدة القديمة في القدس المحتلة. انه قدرت دائرة الأوقاف الإسلامية بالقدس، أن نحو ٤٠ ألف مُصل، أدوا صلاة الجمعة في رحاب المسجد الأقصى المبارك، وسط انتشار لقوات الاحتلال في شوارع المدينة ومحيط المسجد، حيث تمركزت عند بواباته، وأوقفت المصلين ودققت في بطاقاتهم الشخصية.

وكالة مهر

حوار

مع العلّامة السيّد جعفر مرتضى العاملي عن كتابه

الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

إعداد: أسرة التحرير

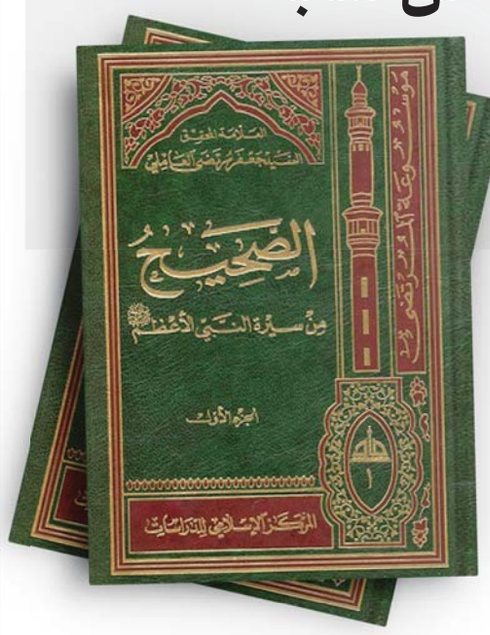

... في زمنٍ يعزّ فيه الكتاب، ويندر فيه الكُتّاب، ويغلب التقدير على التدبير والتفكير، ويقلّ التحقيق والمحقّقون، تتشرّف أسرة مجلّة «شعائر» أن تسلِّط الضوء على إنتاج فكري- تاريخي - تحقيقي رائد، حصل على جوائز وتكريمات عالميّة، إنّه كتاب (الصحيح في سيرة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم) للمحقّق العلّامة السيّد جعفر مرتضى العاملي، الذي أجاب عن أسئلة المجلّة حول الكتاب.

سماحة السيّد، ما هو برأيكم الفارق النوعي بين ما ورد في كتابكم (الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم) وبين كُتب السيرة المتعارفة؟

بسم الله الرحمن الرحيم. والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وآله الطيّبين الطاهرين، واللّعنة على أعدائهم أجمعين، من الأوّلين والآخرين، إلى قيام يوم الدّين.

إذا كان المقصود بالسيرة هو سرد الأحداث التي ترتبط بحركة شخص، أو أشخاص في مجالات مختلفة من حياته وحياتهم، فإنّ كتاب (الصحيح) لم يعتمد هذا النهج، بل هو لم يُكتب من الأساس لأجل هدف كهذا، ولو جزئيّاً.

وإنّما أُلِّف هذا الكتاب بداعي معالجة ما يمكن معالجته، أو ما تسنح الفرصة لمعالجته من نصوص تدَّعي أنّها تحكي أحداثاً في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولها نوعُ ارتباطٍ به، أو انتسابٍ إليه، أو يمكن أن يكون له صلى الله عليه وآله وسلم تأثير فيها بنحو، أو بآخر.

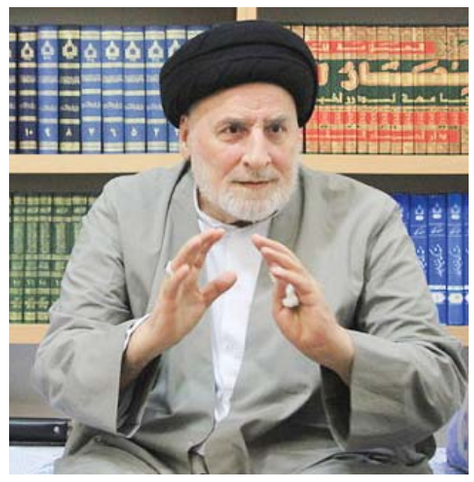

وهذه المعالجة كانت على أنحاء، وفي أكثر من اتّجاه:

فهي تارة تهتّم بنقد النص لمعرفة صحيحه من سقيمه، وغثّه من سمينه، وسليمه من محرّفه، وحقيقيّه من مزيّفه.

وأخرى تحاول معالجة مضمون النص بإلقاء الأضواء على طبيعة مضمونه، وتحديد قيمته، ومدى انسجامه مع الثوابت والمنطلقات العقائديّة والإيمانيّة الصحيحة، وموافقته لأحكام الشريعة، والقِيم والمبادئ الأخلاقيّة والإنسانيّة، الرفيعة والنبيلة.

والهدف من ذلك: هو تصنيف النص ووضعه في دائرة الحقّ، أو اعتباره من الباطل الذي لا بدّ من تحاشيه، والإبتعاد عنه، وإدانة مَن صنعه، أو التزم به، أو مال إليه، وروّج له، واعتمد عليه.

وهناك مستوى آخر استأثر بقسط من اهتمامنا في معالجاتنا لتلك النصوص، وهو محاولة استنباط اللّطائف والظرائف منها، وكشف حقائقها، والوقوف على ما أمكن الوقوف عليه من دقائقها، واستنطاق عباراتها، واستلهام إشاراتها في حدود ما يتيسّر لنا من وقت، وما يتسنّى لنا بذله من جهد.

ولو أردنا أن ندّعي أنّ كتاب (الصحيح) هو كتاب سيرة سرديّة وحسب، فلا بدَّ أن نعتبر أن التّعرّض لهذه المجالات -باستثناء الجانب السردي للسيرة- خروجٌ عمّا هو مرسوم، ونقضٌ للغرض، إن لم نقل إنّه خبط وخلط، وتسمية للأمور بغير أسمائها.

ما هي المصادر الأساسية التي تمّ الإعتماد عليها في كتابكم؟

إنّ ما نبحثه في هذا الكتاب هو نصوص سجّلت حركة نبيٍّ معصومٍ ومسدّدٍ من الله تعالى في كلّ شيء، وفي مختلف المجالات.

وحركة النبي هي: مواقفه، وتوجيهاته، وأجوبته وبياناته، وسكوته، وكلّ ما يصدر عنه من فعل وقول هو أسوة وقدوة فيه. وهو مدرسة فيها مختلف العلوم والمعارف، وفيها أحكام وسياسات، وتربية، وقِيم، وأخلاق، واعتقادات وسلوك، وخطط حربيّة، وفيها إعلام وطب، وفقه وأصول فقه، وتاريخ، ومناهج، وكلّ ما يحتاجه الإنسان، وما يحتمل أن يمرّ عليه، ويتعامل معه.

وقد نجد بعض ما يعرّفنا بذلك كلّه في القرآن الكريم، وفي أقوال الذين عاشوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأقوال الأئمّة عليهم السلام، الحاكية لأقوال وأفعال، وسياسات، وكلّ حركة وسكون، وكل ما جرى له، واتّصل به، وما إلى ذلك.

وبالرغم من السياسة التي اعتُمدت بعد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة، والقاضية بالمنع من رواية وتدوين أقواله وأفعاله وسياساته وكثيرٍ ممّا يرتبط به صلى الله عليه وآله وسلم، فقد هيّأ الله تعالى سُبُلاً كثيرة استطاعت أن تكسر كلّ هذه الحواجز، وتتجاوز جميع العوائق التي اعترضت سبيل وصول كثير من الأمور إلينا.

ولكن ما وصل إلينا كان كثيراً أيضاً، وإن كان قد اختلط غثُّه بسمينه، وصحيحُه بسقيمه.

وقد كان كلّ فريقٍ من الناس، وكلّ ذي اختصاص يحاول أن يأخذ من النصوص القرآنية، ويختار من الروايات في السيرة والسنّة النبويّة ما يناسبه، فيدوّنه بحسب ما يراه مناسباً. وربما سجّل ملاحظات توضيحيّة، أو تصحيحيّة على بعض ما سجّله، وربّما أهمل ذلك ليكون الذين يأتون بعده هم الذين يتولّون ذلك.

فانتشرت السُّنّة والسيرة على مساحة الإختصاصات والإهتمامات، والسلائق، التي دوّنت التراث الإسلامي.

فاحتوت جميع المؤلّفات في التراث وفي العلوم التي نشأت بعد الإسلام، وفي العلوم التي تأسّست قبله أيضاً، ودُوِّنت أو أُعيد تدوينها بعد ظهور الإسلام -احتوت- الكثير الكثير من السنّة والسيرة كأدلّة تارة، وكشواهد ومؤيّدات أخرى. فأيّ كتاب تفتحه وتنظر فيه، فإنّك تجد فيه الشيء الكثير من ذلك.

من أجل ذلك نقول: إنَّ المصادر التي اعتمدنا عليها في كتاب (الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم) هي -بالإضافة إلى كتاب الله سبحانه- كلّ ما استطعنا أن نطّلع عليه من المؤلّفات التي كتبها أهل الإسلام، مثل كُتب: الأنساب، واللّغة، والعقائد، والتاريخ، والتفسير، والحديث، والطب، والأدب، والجغرافيا، والبلدان، والرجال، والفقه، والأصول، حتّى كُتُب الفلسفة، والحساب، وما إلى ذلك. إلخ.

هل استطاع الكتاب أن يعالج إشكاليّات في السيرة النبويّة كانت مقاربتها في الغالب شكليّة، أو أنَّ الباحثين كانوا يتجاوزونها مخافة الوقوع فيما يخدش مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، من قبيل (عدم فضح المنافقين) أو (قضيّة بعض زوجاته)؟

لا توجد إشكاليّات في السيرة تحتاج إلى معالجة، بل الذي يحتاج إلى المعالجة هو الفكر الإنساني حين يصبح أسير الأهواء، ويتّخذ طُرقاً ملتوية، ويتبنَّى معايير مجحفة، وغير واقعيّة، ويعتمد أدوات زائفة، فيوقع نفسه وغيره في الشدّة، وفي متاهاتٍ من الجهل.

والذي ألجأ هؤلاء الناس إلى ذلك: أهواء وعصبيّات، نهاهم الله عن متابعتها، وعن الإنسياق معها، وحظرت عليهم الحكمة الإقتراب منها، يرفدها ويغذّيها ويحميها استكبارٌ عن الحقّ أن يُقال لهم، وعن الصِّدق والواقع أن يُعرَض عليهم، وأن يعترفوا به، فضلاً عن أن ينقادوا له.

من أجل ذلك جاءت مقارباتهم للأمور عرجاء وعوجاء، وغير ذات أثر سوى تعميق الجرح، وزيادة الطين بلّة، والخرق اتّساعاً، وعن الحقّ والحقيقة ابتعاداً، وعلى الباطل إصراراً وعناداً. وإنّما على نفسها جنت براقش. ﴿.. وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ النحل:١١٨.

أمّا أولئك الذين تركوا عصبيّاتهم جانباً، واستسلموا للحقّ وأنِسوا به، وأحبّوه، ولم يستكبروا عنه أن يقال لهم، وأن ينقادوا له، وأن يعملوا به، ويدافعوا عنه، ويفدوا أرواحهم في سبيله، فقد خضعوا لمعايير سليمة، وضوابط قويمة، والتزموا بها. ولئن وقعوا أحياناً في خطأ جزئي هنا وهناك في بعض التفاصيل، بحكم كونهم بشراً لا يدّعون العصمة المطلقة لأنفسهم، فإنَّ ذلك لا يُخلّ بمسارهم العام، ولا يُفقدهم حالة التوازن، بل تبقى الضوابط والمعايير هي الحاكمة والمهيمنة على مسارهم العام، وعلى فكرهم، وهما المرجعيّة المطلقة له.

وما أسهل تراجعهم عن الخطأ حين ينكشف لهم، لأنّ القيمة عندهم للدليل والبرهان، وهو الذي يسوقهم هواهم إليه، ولا يتعصّبون إلّا له، ولا يعتمدون إلّا عليه. ولكنَّ ذلك لا يعني أنَّ هؤلاء لم يتعرّضوا للأذى حين يجهرون بما يرونه حقّاً، ويعتقدونه واقعاً وصدقاً.

فكانوا ربّما آذاهم أصحاب العصبيّات، والأهواء والجهالات من الذين يتعاملون مع الفكر والعقل والإيمان بعدوانيّة، ورعونة، وطيش، وسلاحهم النّاب والظِّفر، وكلّ ما هو جارح. وما جرى للشهيدَين وغيرهما خير شاهد على أنَّ بعض الناس لم يفقهوا حتى معنى الحكمة والموعظة الحسنة، والدليل والحجّة، فهم مصداق واضح لقول القائل:

ودعوى القويّ كدعوى السِّباع من الناب والظفر برهانُها
وإن أعوزتهم القوة، وحالت الظروف والموانع بينهم وبين البطش والعدوان، فقد يلجأ كثيرون منهم إلى التجنّي في الإتّهام والإسراف في نسبة الأباطيل والترّهات إلى مَن هم بريئون منها براءة الذئب من دم يوسف.

ولن تُجدي نفعاً كلّ أساليب البيان، والتوضيح، والإرشاد والتصحيح، بل ربما دعاهم ذلك إلى مضاعفة إتّهاماتهم الفاجرة، بأساليب أشدّ مكراً، وأكثر غدراً.

ويبقى أولئك المظلومون في دائرة الحيرة، حيث العين بصيرة واليد عن دفع غائلة تلك الأكاذيب قصيرة، كيف وقد قيل:

لي حيلةٌ في مـن ينـمّ وليس في الكذّاب حيلة
مَن كان يخلق ما يقول فحيلتي فـيه قلـيلة

غير أنَّ ذلك لم يمنعنا في كتابنا: (الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم) وفي غيره من مؤلّفاتنا، من أن نتجاهل كلّ هذه الأجواء التي قد يثيرها أمثال هؤلاء، وتعاملنا مع الأمور بكلّ عفوية وموضوعيّة، ووضوح، غير آبهين بكلّ الصخب والضجيج الفارغ الذي يُثيره الجاهلون والمتعصّبون، الذين يريدون أن يفرضوا آراءهم بقوّة العضلات، وبضجيج الأصوات، لا بالحُجج والبراهين والبيّنات.

هل بإمكان القارئ لكتاب (الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم) أن يستنبط القواعد التأسيسيّة من هذا الكتاب؟

حول استنباط القواعد التأسيسيّة من كتاب (الصحيح)، فلعلّ أدنى مراجعة له تعطي: أنّ الوسائل والأدوات البحثيّة التي استفدنا منها فيه لا تختلف عن غيرها، ما دام أنّ المطلوب هو تمحيص النَّص، والوقوف على مدى صحّته وصدقيّته في حكايته للوقائع والأحداث، فإنّ وسائل البحث في النصوص التاريخيّة هي نفسها التي تُستعمل في تمحيص أيّ نصٍّ آخر في أيّ مجال، أو في أيّ علم آخر.

فالبحث السنديّ هو نفسه، الذي نجده حاضراً وفارضاً نفسه، وآليّاته.

كما أن النَّظر في العناصر التي اشتمل عليها النَّص، ومحاكمتها، وآليّات تمحيصها، لا يختلف ولا يتفاوت عمّا يكون عليه الحال مع سائر النصوص في مختلف المجالات.

فإذا تضمّن النَّص الإستشهاد بآية قرآنيّة مثلاً، فمن الطّبيعي أن ينظر في مضمون الآية لمعرفة مدى انسجامه مع ما يُراد الإستشهاد بالآية عليه. كما لا بد من معرفة مناسبة نزول الآية، وتاريخ نزولها، فلعلّه سابق، أو لاحق، بالنسبة للحدث الذي يُراد الإستشهاد بالآية عليه.

وإذا تضمّن النص الحديث عن شخص، فلا بدَّ من معرفة إن كان هذا الشخص شخصيّة حقيقيّة أو مخترَعة، وعلى الفرض الأوّل لا بدّ أن يحدَّد تاريخ ولادته ووفاته، وسنّه، وأن تُعرَف أخلاقيّاته وسياساته، وغير ذلك من شؤون، فلعلّ ذلك كلّه، أو بعضه لا ينسجم مع الحدث، الذي يراد نسبته إليه، أو ربطه به.

ولو تضمّن الحدث ذكراً لمسارٍ في طريق، أو حديثاً عن موضع، فلا بدَّ من معرفة أن ذلك يتوافق مع واقع المسالك، أو المواضع في أوضاعها التي كانت عليها في زمان الحدث لمعرفة مدى واقعيّة وصحّة ما جاء في النص فيما يرتبط به.

ولو تضمّن النص حديثاً عن مضمون إيماني، أو عقيدة، أو سياسة ذات طابع معين، فلا بدَّ من معرفة مدى توافق ذلك مع الواقع المتيقّن، والمتسالَم عليه في ما يرتبط بالعناصر التي يريد النص أن يربط ذلك المضمون بها.

وهكذا يُقال بالنسبة لسائر العناصر المتوفّرة في النص الذي يُراد البحث فيه، فإنّ آليّات البحث، والقواعد والمنطلقات تكاد تكون متّفقة، أو متقاربة في ما بينها، حتى عندما يراد البحث في نصّ آخر، في أيّ مجال آخر، بِنَحو يصعب إفرادها بتصنيف يخصّها، ويميّزها عن سائر الآليّات والقواعد، التي يستفاد منها في سائر المجالات.

لكن هذا لا يمنع من أن تفرض خصوصيّتُه التعرّض لتفاصيل وجزئيّات تناسب تلك الخصوصيّة، وتحتاج إلى مزيدٍ من العناية بها.

والحمد لله أوّلاً وآخراً، وباطناً وظاهراً، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، محمّدٍ وآله الطاهرين.

المصدر: موقع الشيخ حسين الكوراني

علماء وأعلام

آغا بزرك الطهراني رحمه الله

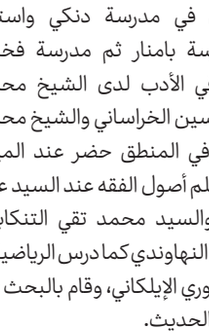

محمد محسن بن علي المنزوي ا لطهر ا ني ، المشهور بآغا بزرك الطهراني (١٢٩٣ ـ ١٣٨٩ هـ) فقيه ومؤرخ إمامي. له مؤلفات عدة أهمها كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة، وهو موسوعة في مؤلفات وآثار الشيعة وكتاب "طبقات أعلام الشيعة" الذي يعنى بترجمة العلماء ورجال الشيعة وآثارهم، من القرن الرابع حتى الرابع عشر الهجري.

السيرة

ولد آغا بزرك في ١١ ربيع الأول سنة ١٢٩٣ هـ في طهران. كان والده من أخيار التجار في مدينة طهران. وجده الأكبر، الحاج محسن كان تاجرا أيضا وقام بإنشاء أول مطبعة في إيران بمؤازرة منوجهر خان معتمد الدولة الغرجي. تزوّج آغا بزرك مرتين وأنجب خمسة بنين وأربع بنات.

الجانب العلمي

بدأ آغا بزرك المرحلة الأولى (المقدمات) من دراسته في إيران في مدرسة دنكي واستمر بالدراسة في مدرسة بامنار ثم مدرسة فخرية (مروي). وتتلمذ في الأدب لدى الشيخ محمد حسن أو محمد حسين الخراساني والشيخ محمد باقر معز الدولة وفي المنطق حضر عند الميرزا محمود القمي، وتعلم أصول الفقه عند السيد عبد الكريم اللاهيجي والسيد محمد تقي التنكابني والشيخ محمد تقي النهاوندي كما درس الرياضيات عند الشيخ علي النوري الإيلكاني، وقام بالبحث في تاريخ الأدب ورجال الحديث.

هجرته إلى النجف

وذهب إلى النجف سنة ١٣١٥ هـ بغية طلب العلم ودرس حتى سنة ١٣٢٩ هـ لدى الميرزا حسين النوري، والشيخ محمد طه نجف، والسيد مرتضى الكشميري، والميرزا حسين الخليلي، والشيخ محمد كاظم الخراساني، والسيد احمد الحائري الطهراني، والميرزا محمد علي الجهاردهي، والسيد محمد كاظم اليزدي وشيخ الشريعة الإصفهاني.

في سامراء والكاظمين

وفي سنة ١٣٢٩ هـ ذهب آغا بزرك إلى سامراء وحضر في درس محمد تقي الشيرازي (ت ١٣٣٨ هـ) المعروف بالميرزا الشيرازي، وفي ٢٥ ذي القعدة من تلك السنة بدأ بتأليف كتابه الذريعة إلى تصانيف الشيعة، وفي أواخر سنة ١٣٣٥ هـ ذهب إلى الكاظمية وأقام هناك بمدة سنتين، ثم رجع إلى سامراء وبقي هناك حتى سنة ١٣٥٥ هـ، وخلال هذه الفترة كان يتردد بين بعض المدن العراقية للبحث عن تصانيف الشيعة الموجودة في المكتبات العامة والشخصية.

العودة إلى النجف

وفي سنة ١٣٥٥ هـ إثر مقتل الشيخ هادي الطهراني من أقرب أصدقائه على يد من يعادي الشيعة خصوصا الشيعة الإيرانيين خرج من سامراء وأقام في النجف،وطبع ثلاثة مجلدات من كتابه هناك، إلا أنه بسبب اندلاع الحرب العالمية وغلاء الطباعة بعث بولده «علي نقي» إلى إيران ليقوم هناك بطباعة سائر المجلدات.

الإجازات

منح الكثير من محدثي المذاهب الإسلامية آغا بزرك إجازة نقل الرواية، منهم:

الميرزا حسين النوري
السيد محمد علي الشاه عبد العظيمي
الشيخ علي الخاقاني
الشيخ محمد صالح آل طعان البحراني و....

وهناك من أعطاهم آغا بزرك إجازة رواية الحديث، منهم:

حسين البروجردي
السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي
الشيخ عبد الحسين الأميني
السيد عبد الهادي الشيرازي
الشيخ محمد رضا آل ياسين
الشيخ محمد حسن المظفر
السيد هبة الدين الشهرستاني و....

المؤلفات

أهم مؤلفاته ما يلي:

الذريعة إلى تصانيف الشيعة: في ٢٦ مجلد طبع في النجف وبيروت
طبقات أعلام الشيعة
نقباء البشر في القرن الرابع عشر
مصفى المقال في مصنفي علم الرجال و...

وفاته

توفي الشيخ آغا بزرك الطهراني يوم ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٨٩ هـ في النجف الأشرف بعد صراعه مع المرض طويلا، وقد أوصى بأن يدفن في مكتبته التي جعلها وقفا يستفيد منها طلاب العلم والعلماء.

شهداء الفضيله

الشهيد الشيخ حسن بن محمد بن شحاتة

ولد حسن بن محمد بن شحاته بن موسى العناني في يوم الاثنين الثالث عشر من ذي الحجة عام ١٣٦٥ للهجرة الموافق ١٠/١١/ ١٩٤٦ للميلاد في بلدة هربيط التابعة لمركز أبو كبير بمحافظة الشرقية بمصر في أسرة متوسطة الحال تتعبد بمذهب ابي حنيفة النعمان. يقول الشيخ حسن عن تلك الفترة: "نشات منذ صغري على حب آل البيت عليهم السلام وموالاتهم، فوالدي ربّاني وكل أفراد العائلة على حبّهم، وكان كثيراً ما يحدّثني عن شخصيّة الإمام علي عليه السلام، وكان يقول لي: يا ولدي! إن أمير المؤمنين كان حامي حمى الإسلام، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا مشى وحده يتعرّض للأذى، وإذا مشى معه أمير المؤمنين لم يكن يجرأ أحد على التعرّض له بسوء".

كان الشيخ رحمه الله نابغة في الحفظ والخطابة فقد حفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره إذ أنّ والده وهبه للقرآن الكريم وهو في بطن أمه، واعتلى المنبر ليخطب بالناس لأول مرة وهو طفل لم يتجاوز ال(١٥) ربيعا في مسجد الأشراف ببلدته وظل خطيبا فيه لمدة خمس سنوات، ثم انتقل للخطابة في مسجد الأحزاب ببلدة مجاورة لمدة سنتين. التحق بعدها شحاته بالخدمة العسكرية عام ١٩٦٨م وكان يتولي التوجيه المعنوي بسلاح المهندسين وخطبة الجمعة، وشارك خلالها في حرب اكتوبر انتقل بعد ذلك الى إمامة الناس في مدينة الدورامون في محافظة الشرقية، انتقل بعدها الى القاهرة عام ١٩٨٤م حيث كانت هذه المرحلة غزيرة بالنشاط الديني لشحاته، فكان له خمسة دروس في مساجد متعددة غير خطبة الجمعة وإمامة الصلاة بمسجد الرحمن بمنطقة كوبري الجامعة وله العديد من البرامج الدينية بإذاعة القرآن الكريم وأحاديث في إذاعة صوت العرب وإذاعة الشعب كما كان له ندوات في نوادي القاهرة وجميع محافظات الجمهورية ثم سجل برنامجاً أسبوعياً تلفزيونياً تحت عنوان أسماء الله الحسنى كان يبث على القناة الأولى المصرية.

أعلن الشيخ رحمه الله تشيعه عام ١٤١٦ هـ الموافق لعام ١٩٩٦ م وبدأ بأداء وظيفته بتعريف المسلمين بحقيقة ولاية أهل البيت عليهم السلام ووجوب متابعتهم بعدما أخفى تشيعه لسنين طويلة، وقد اعتقل لمدة ثلاثة أشهر بتهمة "ازدراء الأديان" في عهد الرئيس المخلوع حسني مبارك.كما أنه تعرض للاعتقال مرة أخرى عام ٢٠٠٩ م مع أكثر من ثلاثمائة شيعي، ثم أُفرِجَ عنه، و قد منع قبل وفاته من السفر خارج مصر.

وقد عانى الشيخ رحمه الله شأنه شأن كل شيعي موالي لأهل البيت عليهم السلام الظلم والاضطهاد من قبل الانظمة المصرية المتوالية اذ لم يتم الاعتراف بهم كمذهب اسلامي فلم يكونوا يتمتعون بأي حقوق حتى انهم لم يكونوا يملكون مسجداً لاقامة شعائر الدين فيه، فتراهم يتجمعون في بيوتهم دون وجود مكان ثابت يستقرون فيه ويعرفون منه. وفي يوم يوم الأحد الموافق ٢٣ يونيو ٢٠١٣ م كان حسن شحاته قد قدم الى دار أحد الشيعة من سكنة قرية زاوية أبو مسلم للإحتفال بميلاد الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في (١٥) شعبان، هاجم مجموعة كبيرة من السلفية الأوباش المنزل بإلقاء قنابل المولوتوف لاحراقه كما كسروا باب المنزل ودخلوا فيه فكسروا الاثاث وحطموا الزجاج واعتدوا على الموجودين فيه بشتى انواع الضرب، حينها قرر الشيخ الشهيد الخروج من المنزل مع شقيقيه ورجل رابع يدعى عماد لحماية الموجودين داخل المنزل من القتل والسحل كما هو ديدن هؤلاء المجرمين، وبما ان الموجودين كانوا ينادون اخرجوا لنا حسن شحاتة، وحين خروجه اعتدوا على الرجال الاربعة بشكل وحشي همجي بالقضبان الحديدية والعصي الخشبية على الرؤوس والظهور، ثم اوثق الحشد ايديهم وجرّهم عبر الشوارع إلى أن نال الشهادة على يد التكفيريين من خوارج مصر.

أسئلة وردود

هل وردت قافلة السبايا أرض كربلاء في يوم الأربعين؟

الشيخ محمّد صنقور

بعد أنْ سلَّمنا أنَّ يوم الأربعين هو يوم الزيارة، وأنَّ أهل البيت عليهم السلام أكَّدوا على استحباب زيارة الحسين الشهيد عليه السلام في هذا اليوم، يقع البحث عن منشأ استحباب الزيارة وهل هو ورود أهل البيت عليهم السلام وقافلة الحسين عليه السلام إلى كربلاء يوم الأربعين؟

المشتهر بين الناس هو أنَّ منشأ استحباب زيارة الحسين عليه السلام يوم الأربعين هو أنَّ السبايا وقافلة والحسين عليه السلام قد رجعت من الشام إلى كربلاء، ووصلت يوم الأربعين، لذلك استُحِبَّت زيارة الحسين يوم الأربعين. واشتهر بين الناس أنَّه تصادفَ مجيء قافلة الحسين عليه السلام ووصولهم لكربلاء مع مجيء الصحابيّ الجليل جابر بن عبدالله الانصاري -قدَّس اللهُ نفسه الزكيَّة-.

الجواب: نستبعد ذلك..

هذا الكلام مستبعدٌ جداً. نعم، نحن نُسلِّم بأنَّ جابر بن عبد الله الأنصاري قد زار الإمام الحسين يوم الاربعين، تبعاً لما أفاده الكثير من علمائنا، وقد أوردوا الكيفيَّة التي زار بها جابر الإمام الحسين عليه السلام، وأنَّه اغتسل وألقى على نفسه الطِّيب، ثم خطا خطوات قصيرة إلى أنْ وصل القبر الشريف، وخاطب الإمام الحسين عليه السلام بقوله: يا حسين، حبيبٌ لا يُجيب حبيبه.

ثم أنَّن الحسين عليه السلام تأبينا مُؤثِّرا جداً، وبعد ذلك زار الحسين بزيارةٍ معروفة رواها عنه عطية العوفي -رحمه الله-، وهو من الرواة الثقاة الأجلَّاء. هذا المقدار وردت فيه رواية. وأمَّا مجيء أهل البيت عليهم السلام وقافلة الحسين يوم الأربعين، وأنَّ رأس الحسين قد رُدَّ إلى القبر الشريف يوم الأربعين، فهذا هو الذي لم يثبت -وإن كان مشتهراً بين الناس-، فليكنْ ذلك واضحاً.

نعم ذكر بعض المؤرخين أنَّ يوم الأربعين كان قد صادف مجيء جابر ولقاء أهل البيت عليهم السلام به في أرض كربلاء، إلَّا أنَّ ذلك مُستبعدٌ جداً.

ونحن إذا أردنا أن نُثبت صحَّة ما ذكرناه من استبعاد، يمكن أنْ نشير إلى مجموعة من الأمور:

أولاً: وقت خروج القافلة من الشام

الأمر الأول هو أنَّ مجموعة من العلماء والمؤرِّخين، كالشيخ المفيد والشيخ الطوسي والحليّ والكفعمي وغيرهم من علمائنا الاعلام، أفادوا بأنَّ خروج قافلة الحسين من الشام كان يوم الأربعين. ففي يوم العشرين من صفر خرجت قافلة الحسين عليه السلام من الأسر قاصدةً المدينة.

نعم، لقد مرَّت القافلة على كربلاء -ما قيل- ولكن ليس في يوم العشرين من صفر؛ إذْ أنهم خرجوا من الشام في هذا اليوم فكيف يكون يوم العشرين هو يوم لقائهم بجابر في أرض كربلاء؟! هذا لا يتَّم.

ثانياً: مدَّة بقاء القافلة في الشام هي عشرون يوماً -على أقلّ تقدير-

ويمكن تأكيد ذلك بما ذُكر من أقوال في مدَّة بقاء قافلة الحسين عليه السلام في الشام.. فقد اختلفت الأقوال في ذلك، على ثلاث طوائف تقريباً:

الطائفة الأولى: أفادت بأنَّ مدَّة الأسر استمرَّت عشرين يوماً.

الطائفة الثانية: أفادت بأنَّ مدَّة الأسر استمرَّت شهراً كاملاً -كما عن السيد ابن طاووس رحمه الله.

الطائفة الثالثة: أفادت بأنَّ مدَّة الأسر استمرت شهراً ونصف الشهر، يعني خمسة وأربعين يوماً قضوها في الشام ذكر ذلك القاضي النعمان رحمه الله -من أعلام القرن الرابع الهجري-. فعلى أقلّ التقادير تكون قافلة الحسين عليه السلام قد بقيت في الأسر عشرين يوماً ويبقى البحث عن الزمن الذي وصلت فيه قافلة الحسين عليه السلام إلى أرض الشام؟

المعروف أنَّ قافلة الحسين عليه السلام وصلت إلى الشام في غرَّة صفر -واحد صفر-، فإذا بقيت في الأسر عشرين يوماً، فمعناه أنّ أوَّل خروج القافلة من الشام كان في عشرين صفر -وهو موافقٌ لما ذكره فقهائنا، كالشيخ المفيد، وأبي جعفر الطوسي رحمهما الله.

أمَّا لو قلنا أنَّها بقيت شهراً -كما أفاد ابن طاووس-، أو خمسة وأربعين يوماً -كما أفاد القاضي النعمان-، فعندئذٍ يكون خروجهم من الشام في شهر ربيع. فكيف يكون وصولهم إلى كربلاء يوم الأربعين هذا أمرٌ لا يمكن قبوله.

ثالثاً: المسير من الشام إلى كربلاء يستغرق ٢٣ يوماً على أقلّ التقادير

الأمر الثالث: إذا كانت قافلة الحسين عليه السلام قد خرجت من الشام يوم العشرين من صفر -على أقلّ تقدير- فمتى وصلت العراق؟ ومتى وصلت كربلاء؟

المسافة -على أقلّ التقادير- من الشام إلى الكوفة تبلغ خمسمائة وخمسة وخمسين ميلاً. يعني تحتاج في قطع هذه المسافة بقافلة الجمال إلى ثلاثة وعشرين يوماً -كما حدَّده أصحاب المسافات-، ثلاثة وعشرون يوماً إذا كانت القافلة تسيرُ في النهار دون الليل، وأمَّا إذا كانت تسير في الليل والنهار فتحتاج إلى أحد عشر يوماً.

وحتى لو قطعوا المسافة في أحد عشر يوماً فهذا معناه أنهم وصلوا إلى كربلاء في الأول، أو الثاني من ربيع الأول -إذا كانوا قد خرجوا يوم العشرين من صفر-، أما لو استغرق مسيرهم ثلاثة وعشرين يوماً كما نستقرب فإنَّ وصولَهم يكون في منتصف ربيع الأول.

وأمَّا منشأ الإستقراب فهو لأنَّ المؤرِّخين ذكروا أنَّه بعد انتهاء أمد الأسر، والأستنفار الذي حدث في أرض الشام؛ نتيجة الخطابات التي كان يُلقيها الإمام السجاد عليه السلام، والسيِّدة زينب عليها السلام، أراد يزيد أنْ يظهر بمظهرٍ حسنٍ، فأمر عدداً من أصحابه وجماعته بأنْ يسيروا بالقافلة على أحسن وجه، وألّا يزعجوهم في المشي، ويتحركون متى شاؤوا، ويقفون متى شاؤوا، وأن يسيروا بهم ليلا دون النهار -المسير في الليل كان لأسباب ومبرّرات، بعضها أمنية، وبعضها سياسية؛ حتى لا يلتقوا بالناس فيزداد بذلك النفور والسخط على بني أمية-.

فإذا كان مسيرهم في الليل دون النهار، فإنَّهم سيحتاجون إلى ثلاثة وعشرين يوماً، بل ربما احتاجوا إلى ثلاثين يوماً بإعتبار أنَّهم كانوا يسيرون ويقفون، وهذه قافلةٌ فيها أطفال، وفيها نساء. يعني أنَّ حركتهم من الكوفة إلى الشام ليس كحركتهم من الشام إلى العراق؛ وذلك لأنَّهم يسيرون بمشيئة القافلة، وبطبيعة الحال سوف تُراعى حاجات الأطفال والنساء.

وإنْ قبلنا أقلَّ التقادير فمدَّة المسير هي ثلاثة وعشرون يوماً، وهذا يعني أنّ وصولهم إلى كربلاء لا يقلُّ عن يوم الحادي عشر أو الثاني عشر من ربيع الأول، فكيف التقوا مع هذا الفرض بجابر في يوم العشرين من صفر؟! وكيف رُدَّت الرؤوس إلى القبور في يوم العشرين من صفر؟! هذا غير ممكن، ومستبعَدٌ جدا.

إشكال وجواب

قد يُقال إنَّه ربما كانت حركتهم من الكوفة في يوم الثالث عشر من محرم، وكانت حركهم حثيثة، إذ لم تكن هناك مراعاة لحال النساء والأطفال، فيمكن في هذا الفرض أن يكونوا قد وصلوا إلى الشام يوم العشرين أو الثاني والعشرين من محرم، ويكون بقاؤهم في الشام عشرين يوماً، فيكون وصولهم إلى كربلاء في شهر صفر.

هذا كلامٌ مستبعد جدا؛ وذلك لأمور:

أولا: قلنا: إنَّ ثمة نصوصاً تأريخيَّة أفادت أنَّ وصولهم إلى الشام كان في غرَّة صفر.

ثانيا: الذي ذكره المؤرِّخون هو أنَّ قافلة الحسين عليه السلام لم تسر من الكوفة إلى الشام مباشرةً بعد مقتل الحسين عليه السلام، بل إنّ عُبيد الله ابن زياد -أخزاه الله- بعد أنْ قتل الحسين عليه السلام بعث برسالة إلى يزيد يسأله عمَّا يصنعه مع القافلة، وهذه الرسالة تحتاج في وصولها ليزيد -أخزاه الله- ثم رجوعها ثانية إلى مدةٍ لا تقلُّ عن خمسة عشر يوماً بواسطة البريد، فمتى ذهبوا، ومتى رجعوا؟! فإذن هذا الإحتمال مستبعَد جداً.

الكثير من فقهائنا ومؤرخينا استبعدوا ذلك:

على أنَّ استبعاد وصول القافلة يوم العشرين من صفر ذهب إليه جمع من العلماء، كالمحدّث القمي -الشيخ عباس القمي صاحب المفاتيح-، وكذلك المحدّث النوري -صاحب مستدرك الوسائل-، وكذلك العلامة المجلسي -صاحب البحار-، وكذلك السيد ابن طاووس أيضا استبعد- في الإقبال- وصول أهل البيت عليهم السلام إلى أرض كربلاء يوم العشرين من صفر-.

قافلة السبايا قد زارت الحسين عليه السلام في غير يوم الأربعين

وبما ذكرناه يترجَّح عدم وصول قافلة الحسين عليه السلام إلى كربلاء يوم الأربعين، وهذا لا يعني أنَّ قافلة الحسين عليه السلام لم ترجع إلى كربلاء بعد الخروج من الشام فإنَّ هذا لي هو مورد الإشكال وإنَّما الإشكال في وصولهم يوم الأربعين والتقائهم بجابر الأنصاري وأنَّ رؤوس الشهداء قد رُدَّت إلى كربلاء في العشرين من صفر؟ كما يقول الشاعر:

قم جدد الحزن في العشرين من صفر ففيه ردت رؤوس الآل للحفر

يعني أنَّ رؤوس آل البيت عليهم السلام رُدَّت يوم العشرين. هذا المقدار هو الذي نستبعدُه، ولا نستبعد زيارة جابر، بل وردت عليها روايات عديدة، ولا نستبعد زيارة أهل البيت في كربلاء؛ لأنه وردت روايات بأنَّ السجاد عليه السلام قد رجع من الشام، وسار إلى طريق كربلاء، وبقي ثلاثة أيام زائراً للحسين عليه السلام.

ووردت عندنا نصوص أفادت أنَّ السجَّاد عليه السلام قد ردَّ رأس سيد الشهداء إلى كربلاء. هذا المقدار يمكن التثبُّت منه، والذي نستبعده هو وقوع ذلك يوم الأربعين.

إشكال: دلَّت الروايات على التقاء جابر الأنصاري رحمه الله بالإمام السجاد عليه السلام.

قد تقول إنَّ عندنا روايه أفادت، بأنَّ جابراً الأنصاري قد التقى بعليّ بن الحسين عليه السلام.

والجواب:

أنَّه بعد تمامية دعوى الإستبعاد يمكن البناء على احتمالٍ حاصلة:

إنَّ جابر بن عبدالله الانصاري قد خرج من الموقع الذي كان فيه قاصداً زيارة الحسين عليه السلام، ووصل إلى كربلاء يوم الأربعين، فلذلك حظي بشرف أوَّل زائرٍ للحسين عليه السلام، فأوَّل زوّار الحسين عليه السلام هو جابر بن عبد الله الأنصاري.

ثم إنَّه ربَّما زار الأمام الحسين عليه السلام مرَّة أخرى -حيث نستبعد أنَّه زار الحسين مرَّةً واحدة-، وخصوصا أنَّه وردت عندنا رواية مفادها أنَّ جابراً كان برفقة عطية العوفي، ثم قال له: اذهب بنا إلى بيوت كوفان. فيمكن أنْ يكون جابر بن عبد الله قد ذهب بعد زيارة الحسين إلى الكوفة، ثم رجع بعد ذلك قبل ذهابه إلى الحجاز، لتجديد الزيارة، وعندها التقى بقافلة الحسين عليه السلام، وأنَّ ذلك لم يكن في يوم الأربعين، وإنَّما كان في يومٍ آخر غير يوم الأربعين.

الأمور التي تؤكِّد أنَّ التقاء جابر الأنصاري بالإمام السجاد عليه السلام لم يكن في يوم الأربعين:

والذي يؤكِّد هذا الإحتمال مجموعة أمور:

الأمر الأول: روايات اللقاء ليس فيها عطية العوفي:

إنَّ الروايات التي تحدَّثت عن زيارة جابر تُؤكِّد أنَّ جابراً قد زار الحسين عليه السلام ومعه عطية العوفي، ولم يكن معهم أحد سوى الغلام، ولم تذكر هذه الروايات أنَّه التقى بقافلة الحسين عليه السلام. في حين أنّ عندنا رواية أخرى أفادت أنَّه التقى بالقافلة ولكنَّها لم تذكر أنَّ معه عطية العوفي وهو ما يُقرِّب احتمال أنَّ جابر الأنصاري قد زار الحسين مرتين.

ففي الزيارة الأولى كان معه عطية العوفي، وأما في الزيارة الثانية فكان معه جمع من بني هاشم جاءوا لزيارة الحسين.. فلعلَّ اللقاء بقافلة الحسين عليه السلام الذي أفادته بعض النصوص كان في الزيارة الثانية خصوصاً وأنَّ رواية اللقاء أفادت بأنَّ جمعاً من بني هاشم كانوا مع جابر في كربلاء ولم تذكر أنَّ معه عطية العوفي والرواية التي أفادت أنَّ معه عطية العوفي لم تذكر أنَّ معه أحداً من الهاشميين.

الأمر الثاني: عطية العوفي نفسه لم يذكر أنه التقى بالإمام السجاد عليه السلام:

على أنَّ عطية العوفي -وهو مصدر الرواية، وهو رجلٌ ثقةٌ جليل- لم ينقل شيئاً عن لقاء جابر بالقافلة، فمِن المستبعد أن يُهمل عطية العوفي هذا الحدث المهم ولا يذكره، في حين أنَّه ذكر تفاصيل زيارة جابر: مشى خطوات، واغتسل، وألقى على نفسه عطراً..

هذه تفاصيل صغيرة وقد نقلها عطية العوفي، في حين أنَّه لم ينقل لنا لقاءه بالسجاد عليه السلام، مع أنَّ هذا الأمر أهم!! وهو ما يُؤكد أنَّ الزيارة التي كان فيها جابر مع عطية العوفي -والتي وقعت في يوم الأربعين- لم تكن هي زيارة اللِّقاء،وعليه فلعلَّ زيارة اللقاء وقعت بعد رجوع جابر بن عبدالله الأنصاري من الكوفة مع جمعٍ من بني هاشم جاءوا لزيارة الحسين عليه السلام، وصادف مجيئهم ورود قافلة الحسين، وعندها التقى جابر بن عبدالله الأنصاري مع قافلة الحسين عليه السلام.

هل أُرجعت الرؤوس الشريفة إلى كربلاء؟

بقيت مسألة -نختم بها الحديث وسوف نوجزه نظراً لضيق الوقت، وهي أنَّ الرأس الشريف هل تم إرجاعه إلى كربلاء أو لا؟

والجواب هو أنَّ الروايات والأقوال اختلفت في ذلك اختلافاً بيّناً فثمة عشرون موقعاً قيل أنَّ رأس الحسين عليه السلام قد دُفن فيه: في كربلاء، في النجف، في البقيع، في مواقع من الشام، في عسقلان، في مصر، في مواقع أخرى.

الرأي المُعوَّل عليه

لكنَّ الذي عليه المُعوَّل، والذي اشتهر بين مُؤرِّخينا، وعلمائنا الشيعة، هو أنَّ رأس الحسين عليه السلام قد دُفِنَ في كربلاء، وأنَّ الذي دفنه هو عليُّ بن الحسين السجاد عليه السلام، بعد رجوعه من الأسر. هذا الرأي هو الذي عليه المُعوَّل، كما ذكر ذلك جمع من فقهائنا، كالسيد المرتضى -علم الهدى رحمه الله، وأفاد: إنَّ جميع الرواة والمُصنِّفين -من رواتنا- ذكروا أنَّ رأس الحسين أُرجع إلى كربلاء.

وكذلك فإنَّ ابن نما الحليّ ذكر أنَّ ذلك هو الذي عليه المُعوَّل بين علمائنا. وذكر ابن طاووس أنَّ رأس الحسين أُعيد فدفن مع بدنه وإن عمل الطائفة على ذلك، وروى الشيخ الصدوق في الأمالي عن فاطمة بنت علي، أنَّه لما قُتل الحسين عليه السلام لم يرفع ببيت المقدس حجر عن وجه الأرض إلا وُجد تحته دم عبيط.... إلى أن خرج عليُّ بن الحسين عليه السلام بالنسوة وردَّ رأس الحسين عليه السلام إلى كربلاء.

هذه الرواية -وما أفاده السيد المرتضى، وابن نما الحلّي، وابن طاووس، وجمع من علمائنا-، تؤكِّد أنَّ رأس الحسين أُرجِع إلى القبر الشريف. نعم لم يرد في شيءٍ من النصوص المذكورة أنَّ ارجاع الرأس الشريف قد تمَّ في يوم الأربعين والله أعلم بحقائق الأمور.

وكيف كان فإنَّ ممَّا لا ريب فيه أنَّ يوم الأربعين هو يومٌ يتأكد فيه استحباب الزيارة لسيّد الشهداء عليه السلام وأنَّ زيارته في هذا اليوم من علائم الإيمان.

والحمد لله رب العالمين

المصدر: الاجتهاد

تعريف بالمراكز والمؤسسات الشيعية الدينية

دار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

التعريف

تشكيل مؤسسي يعمل على تعريف الذات والآخر بشخص الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم وتوثيق ما يتعلق به والافادة منه في التصحيح والتأهيل والتبليغ والتطوير.

الرؤية

رفع مستويات الوعي بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته في العالم بمصالحة فرق المجتمع الاسلامي من خلال تفعيل(الرحمة) التي تمثلت بوجوده الشريف صلى الله عليه وآله وسلم، ولتمتين الاواصر البشرية بين المجتمعين الاسلامي وسواه من خلال تفعيل مساحة (كافة) المقرونة برسالته.

الرسالة

إستقطاب الاقلام والعقول الكفوءة ذات الوعي العالي بالسيرة العطرة والرسالة لإعادة فهم السيرة بما ينسجم ومعايير القراءة الموضوعية المسندة؛ لإنتاج مخرجات فكرية وثقافية وإبداعية توعّي الذات وتعرّف الآخر بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته.

الاهداف

- تقريب وجهات النظر بين الفرق الإسلامية عبر تفعيل وحدة الخطاب النبويّ ليكون طريقاً لتوحيد الخطاب الاسلامي.

- تصحيح وجهات النظر عند الآخر المختلف والآخر الضدّ عبر تقديم نتاجات (ورقية او رقمية، فكرية او ثقافية، علمية او ابداعية) وسوى ذلك.

- الإفادة من تراث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أسلمة العلوم والمعارف(أي جعل النظرية الإسلامية مظلّة رئيسة لتوجيه البحث العلمي والمعرفي) فضلًا عن أسلمة فلسفة العلم.

- قراءة تراث الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته لتكون مقدمة لنتاجات متنوعة (ابحاث، كتب، موسوعات...إلخ) تسهم في تشكل مكتبة عالمية متخصصة وملمّة بتفاصيل شخصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته.

- إعداد رساليين من الباحثين في المعاهد والكليات بمراحلها المختلفة (الاولية والعليا) وتقديم التسهيلات الكفيلة بأستقطابهم وإعانتهم على تفعيل ما يطمحون إليه بخصوص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته.

المهام

-العمل على إعادة كتابة السيرة النبوية في ضوء القرآن الكريم والصحيح من مرويات اهل البيت عليهم السلام.

-اطلاق سلسلة من المؤلفات العلمية المعنية بشخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته المباركة.

-وضع مجموعة المقولات النبوية والاسلامية في عنوانات تُناقش في ندوات علمية ضمن ملتقى السيرة النبوية.

-حث الباحثين من فضلاء الحوزة، والاساتذة الاكاديميين، فضلا عن طلاب الدراسات العليا على الكتابة في موضوع السيرة النبوية بما ينسجم وحاجة العالم الاسلامي.

المشرف العام: السيد احمد الصافي (دام عزه)
المتولي الشرعي للعتبة العباسية المقدسة
نائب المشرف العام: السيد ليث الموسوي رئيس قسم الشؤون الفكرية والثقافية
رئيس الدار: ا.د.عادل نذير الحساني

نرحب بآراء القراء الأعزاء
عبر البريد الالكتروني التالي
Alafagh1444
@gmail.com

▫ مقالة/ الجزء الأول

الأصالة والمعاصرة في نظرية أهل البيت عليهم السلام

▫ السيد صدر الدين القبانجي

الانتباه: الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

▪ تاريخ المسألة

لم تكن مسألة الأصالة والمعاصرة في الاجتهادات الفكرية والتشريعيّة في الإسلام مسألة حديثة الولادة بقطع النظر عن طبيعة العنوان والاصطلاح المتخذ للتعبير عنها.

اننا قد نجد بعض إفرازاتها في زمن الرسول الأكرم ﷺ وما بعده مباشرة حينما ظهرت العديد من الاجتهادات الشخصيّة في مقابل حكم الرسول وقوله ﷺ ، ولم تلبس تلك الاجتهادات الشخصيّة ثوب الرأي الذاتي وإنما طرحت على أساس الملائمة للواقع والانسجام معه وهذا هو ما يصطلح عليه اليوم بـ(العصرنة) أو (المعاصرة).

ان هذا اللون من الاجتهادات في قرارات ذات طابع سياسي أو تشريعي في مقابل حكم القرآن أو نص الرسول الأكرم ﷺ ربما لم تكن - في مظهرها كما قد يفسّرها بعض- على أساس التنكّر للأصالة ورفض الشرع، وإنّما طرحت على أساس حق التعديل والتصرّف بحكم الشرع تبعاً لظروف الواقع المعاصر، بمعنى تقديم عنصر (المعاصرة) على عنصر (الأصالة) وحينما تحدث رسول الله ﷺ قائلاً "حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة " كان ذلك تعبيراً عن ضرورة التزام عنصر الأصالة وعدم السماح بمديد التلاعب بالأحكام الشرعيّة.

ولكن الإمام علي عليه السلام حينما عرضت عليه البيعة بعد وفاة عمر بن الخطاب الخليفة الثاني على ان يعمل بكتاب الله وسنة رسوله ويسير بسيرة الشيخين رفض ذلك وقال: "تبايعوني على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأيي " وكأنه أراد التأكيد على عنصري الأصالة والمعاصرة معاً، حيث يعبّر اجتهاد الرأي عن عنصر المعاصرة كما يخضع إلى عنصر الأصالة التزاماً بالكتاب والسنّة.

▪ تعريف الاصطلاح

و قد يكون مفيداً أن نحدّد بدقّة ماذا يقصد بمصطلح "الأصالة " و"المعاصرة "؟

الأصالة من "الأصل " ويقصد بها ارتباط الشيء بأصله، وعدم انحرافه عنه.

المعاصرة من "العصر" ويقصد بها مواكبة الشيء وتناسبه مع مقتضيات العصر ومستجداته.

وعلى ذلك يكون المقصود بالأصالة الإسلامية ارتباط المواقف النظرية أو العملية بالمبادئ والقيم والتشريع الإسلامي وعدم تجاوزها لأي واحد من تلك الأُصول.

ويكون المقصود بالمعاصرة الإسلامية هو توافق المواقف الإسلامية سواءً على المستوى العملي أو النظري مع مقتضيات العصر.

عنصران ضروريان

وفقاً لذلك سوف يتأكد أن الأصالة و المعاصرة عنصران حتميان في الإسلام ولا يمكن رفع اليد عن أي واحد منهما.

ان الإيمان بـ "خاتمية " الإسلام، واعتبار أي تشريع وموقف لا يستند إلى الإسلام هو ضلال وانحراف استناداً إلى الضرورة الإسلامية القائلة "أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً " والقائلة "حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة ".

ان هذا المعتقد الإسلامي سوف يوصد الباب أمام شرعية أي تصرّف وتجاوز لما جاء في الأُصول الإسلامية ويعتبر ذلك جاهليةً وضلالاً "و هل بعد الحقّ إلا الضلال ".

وإذا كان الإسلام هو الدين الخاتم، فلابد أن تكون أحكامه وشرائعة منسجمة مع كل العصور، وقابلة لاستيعاب كل المستجدات.

وإذا كانت طبيعة المجتمع الذي نزلت به الرسالة الاسلامية قد فرضت لغةً خاصة في التخاطب، وحلولاً لنمط خاص من المشاكل الحياتيّة فإن على فقهاء الاسلام أن يكتشفوا جوهر الحلول والنظريات الإسلامية التي تتمكّن من معالجة قضايا العصر، وتخاطب ابناءه باللغة المناسبة وهو ما يصطلح عليه بـ(المعاصرة) أو "العصرنة ".

ان التوفيق بين الأصالة من ناحية والمعاصرة من ناحية ثانية هي مسألة في غاية الأهمية، وربما تكون عملية في شيء من التعقيد والصعوبة، إلا انها على كل الاحوال ضرورة يجب أن يتوفّر لها فقهاء الإسلام.

▪ اتجاهان

ولقد شهد التاريخ الإسلامي القديم والمعاصر اتجاهين في المسألة:

الاتجاه الأول يتمسك بالاصالة على حساب المعاصرة، متسماً بشيء كثير من (التحجّر)، ومتبعداً عن متطلبات الواقع الإنساني المتجدد في احواله ومشكلاته واساليبه.

في ضوء هذا الاتجاه اغلق باب الاجتهاد، واطيح بالعقل باعتباره أساساً في فهم الشريعة ومعارفها واحكامها، واصبح هذا الاتجاه في مواجهة التحديات والمستجدات كمن يدخل ساحة الحرب بأسلحة تقليدية قديمة، الأمر الذي ساعد على نجاح الغزو الثقافي لمجتمعنا، واتهام الفكر الإسلامي بالرجعية وغير ذلك.

وفي مقابل هذا الاتجاه . ولاكثر من سبب . برز اتجاه ثانٍ يتعاطي مع قضية المعاصرة ولكن على حساب الأصالة، وبشيء كثير من (التحلل). هذا الاتجاه اعتبر "الرأي الشخصي " أصلاً في فهم القرآن، واكتشاف العلوم الإسلامية.

وقد نجد هذا الاتجاه في ظرفنا المعاصر تحت عنوان " تعدد القراءات " حيث يرفض وجود ثوابت للحق، واصول مقرّة في اكتشافه كما سنقف عند ذلك في فصل لاحق باذن الله تعالى.

▪ نظرية أهل البيت عليهم السلام

لقد بذل الأئمة من أهل البيت عليهم السلام جهداً واسعاً في تأسيس الاتجاه الصحيح للتوفيق بين الأصالة والمعاصرة، واستعدوا من أجل هذا التأسيس لتحمّل نتائج مرّة كلّفتهم أحياناً عزلاً سياسياً، وحصاراً فكرياً، وخاضوا من أجل هذا التأسيس أيضاً مواجهات مع الحكّام مرّة ومع التيارات الفكرية مرة أخرى، ولكن أهمية المسألة ودورها في الحفاظ على الإسلام هي التي جعلتهم على استعداد لدفع كل الضرائب اللازمة للأمر.

ان "التحجّر " يعنى إنحسار الإسلام واخفاقه وتحوّله على مر السنين إلى مجرد تراث تاريخي يستحق أن يوضع في المتاحف.

كما أن "التحلل " والاسفاف في العصرنة على حساب الأصالة هو الآخر يؤدى الى تشذّب الإسلام تدريجياً حتّى لا يبقى منه إلا اسمه.

إن تصلّب الأئمة الأطهار عليهم السلام في مسألة التوفيق بين الأصالة والمعاصرة والتمسك بالعنصرين معاً كان ناشئاً من اعتبار هذه المسألة مسألة حياتية ومصيريّة للإسلام وإن اي خطأ فيها من هذا الجانب أو ذاك سيؤدى الى نهاية الإسلام.

ولعل مقولة الإمام علي عليه السلام " قصم ظهري اثنان عالم متهتك وجاهل متنسّك " تحمل في بعض دلالاتها الاشارة إلى هذين الخطرين "التحجّر " و"التحلّل "

حيث "يتحلل " العالم المتهتك حينما يبتعد عن الأصالة الإسلامية ويعمل برأيه واجتهاده الشخصي بهدف التواؤم مع مقتضيات العصر.

وحيث "يتحجّر " الجاهل المتنسّك حينما يلتزم بالشريعة بطريقة حرفيّة بعيدة عمّا هو جوهر الشريعة، وسعتها، ومعالجاتها الشاملة لكل مشاكل العصر.

اننا نستطيع ان نجمل نظرية أهل البيت عليهم السلام في مسألة التوفيق بين الأصالة والمعاصرة بعدة نقاط.

النقطة الاولى: شمولية الشريعة حيث تؤكد نظرية أهل البيت عليهم السلام ان كل الوقائع البشرية وفي مختلف المجالات والمستويات الفردية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والاخلاقيّة والعباديّة... ان كل الوقائع البشرية لها حكم من الشارع المقدس، حيث لا نجد في الشريعة الإسلامية اي فراغ على مستوى التشريع، وعلى مدى الازمنة والعصور.

وفي هذا المجال نقرأ نصوصاً عديدة للائمة من أهل البيت عليهم السلام تقول "ما من واقعةٍ إلا ولله فيها حكم حتّى أرش الخدش " ويبدو لمن يراجع هذه الاحاديث المتعددّة وطريقة عرضها للمسألة أنها كانت بصدد مواجهة بدايات فكر خاطىء يزعم ان هناك فراغاً في التشريع الالهى يدعونا ويضطرنا للعمل باجتهاداتنا الشخصيّة من أجل ملء ذلك الفراغ.

ان نظرية أهل البيت عليهم السلام تؤكد بشكل قاطع وحامم أنه لا يوجد أى فراغ في الشريعة الإسلامية، ولعل هذا هو ما كان يشير إليه رسول الله ﷺ بالقول:

"إنّه والله ما من عمل يقربكم من الجنة إلا وقد نبأتكم به وأمرتكم به، وما من عمل يقرّبكم من النار إلا وقد نبأتكم به ونهيتكم عنه " تحف العقول.

وإذا كان ثمة حديث عن وجود "منطقة فراغ " في التشريع متروكه إلى الفقهاء وأولي الأمر فان ذلك ليس في دائرة اصل التشريع وإنّما في دائرة التطبيقات التي تخضع لعناوين متحركة حيث يكون دور الفقهاء وولاة الأمر وأهل الحل والعقد هو التأكد من مصداقية ذلك الواقع المدروس لأي واحد من العناوين ليشمله حكمه الثابت في الشريعة.

ان روايات أهل البيت عليهم السلام تؤكد شمولية الإسلام لكل الوقائع انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمةً وبشرى للمسلمين﴾ (النحل: ٨٩) وهنا يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتحدث عن القرآن:

"إلا أن فيه علم ما يأتى والحديث عن الماضى، ودواء دائكم، ونظم ما بينكم " نهج البلاغة / خ ١٥٨.

وبطبيعة الحال فان هذه الشموليّة لا تعنى بالضرورة أن كل القضايا التفصيليّة والجزئية مذكورة في القرآن بعنوانها الخاص، وإنّما تعنى ان التشريع الإسلامي في مجموع أحكامه الجزئية وقواعده الكليّة وملاكاته التشريعيّة مستوعب لكل المستجدّات بحيث يقدم لها الحكم الشرعي دونما حاجة إلى تقديم رؤى شخصيّة واستخدام قواعد وقياسات من خارج دائرة الشرع الاسلامي.

النقطة الثانية: ثبات الشريعة

بمعنى أن الدين الاسلامى لمّا كان هو الدين الخاتم وهو لا يتغيّر على مر العصور والدهور فان احكام الشريعة الإسلامية هى احكام مطلقة من حيث الزمان والمكان فهي ثابتة لا تتغيّر، لان التغيّرات التي تطال الواقع الاجتماعي للانسان هى تغيّرات على مستوى المظاهر الحياتيّة أمّا واقع المشكلات والحاجات البشرية فهو ثابت لا يتغيّر وقد نزلت الشريعة الإسلامية من عند الله تعالى لمعالجة ذلك الواقع وهو واحد مهما تغيّرت الاشكال.

وهكذا القرآن الكريم فانه يقدّم معالجات وحلول ومناهج منسجمة تماماً مع واقع الحاجات البشريّة التي لا تتغيّر مهما تغيّرت اشكالها.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: "لو أن الآية اذا نزلت في قوم ثم مات اولئك ماتت الآية ما بقي من القرآن شيء ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السماوات والأرض " البيان / السيد الخوئى.

في ضوء هذه النقطة فان عملية "العصرنة " يجب أن لا تمسّ الاحكام الثابتة في الشريعة وانما يجب أن تتم وفقاً لتلك الاحكام والمناهج، وسوف يكون مرفوضاً التفكير بان تغير مقتضيات العصر يفرض تغييراً فى أحكام الشريعة.

النقطة الثالثة: وجود القيّم على الشريعة

من الذي له حق التعبير عن الإسلام؟

ومن هو الذي يمثل الفكر والرؤية الإسلامية الصحيحة؟

وهل هناك شخص أو جهاز خاص يعتبر هو المرجع في هذه المسألة أم أن القضيّة تخضع لاجتهادات مفتوحة لا تخضع لآلية معيّنة؟

الحقيقة ان هذه المسألة في غاية الأهمية، وقد ناضل الأئمة من أهل البيت عليهم السلام واتباعهم من أجلها نضالاً كبيراً.

هذه المسألة هي مسألة "الامامة الفكريّة " التي تكون هى المرجع النهائي لتقويم كل ما يعرض من نتاج أدبي يتحدث عن الإسلام في شتى مجالاته.

لمن هذه الامامة الفكرية بعد رسول الله ﷺ، والى يومنا هذا؟

بالاتفاق فان الامامة الفكرية بالأصل هي للقرآن وسنّة الرسول ﷺ، لكن المشكلة ان القرآن يحتاج إلى من ينطق عنه، ويشرح مقاصده، ويستوعب جميع ما جاء فيه فمن هو ذلك؟

وسنة الرسول ﷺ قد تصرّف فيها الوضّاعون والكذّابة كما تنبأ بذلك رسول الله ﷺ قائلاً "سيكثر على الكذّابة " فمن هو المنبع الصافي الذي نستقي منه هذه السنّة؟

واليوم وبعد تقادم العصور، وتطور العلوم، من هو المرجع الفكري الذي يمتلك حق التعبير عن الإسلام واحكامه ونظرياته؟

نظرية أهل البيت عليهم السلام أكّدت ان المرجعيّة الفكريّة القيّمة على الإسلام بعد رسول الله ﷺ هي للائمة المعصومين الاثني عشر من أهل بيت النبوة عليهم السلام والمرجعية الفكرية من بعدهم وفي عصر غيبتهم هي للفقهاء العدول.

هذه النظرية هي التي لخّصها الحديث الشريف الوارد عن الإمام المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه القائل " أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فأنهم حجتى عليكم وانا حجة الله ".

ان اصطلاح "رواة حديثنا " يساوي ما نصطلح عليه بعبارة "الفقهاء " واصطلاح "حجة الله " يعنى الامامة والزعامة والمرجعيّة الشرعيّة.

ان مدرسة أهل البيت عليهم السلام قد حلّت مشكلة الفراغ في الزعامة الفكرية بعد رسول الله ﷺ وبعد الأئمة المعصومين عليهم السلام وإلى الابد.

فالأئمّة من أهل البيت عليهم السلام هم "حجج الله على خلقه، وامناء الرحمن، وابواب الايمان " و"عندهم ما نزلت به رسله، وهبطت به ملائكته " وهم "الإمام " الذي عناه الله تعالى بقوله "وكل شيء احصيناه في إمام مبين ".

والفقهاء العدول من رواة حديثهم، وحملة علومهم هم الامناء على الشريعة "الفقهاء امناء الرسل " والمرجع الديني للناس. وفى ذلك يقول الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

" اما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه".

ولقد عمل الأئمة من أهل البيت عليهم السلام على ترسيخ هذه النظرية "نظرية الرجوع إلى الفقهاء وقيمومتهم على الفكر والفقه الإسلامي " أيام حياتهم حينما كان يسألهم أتباعهم عن المرجع لأخذ معالم الدين فيؤكدون كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام:

"ان العلماء ورثة الأنبياء، وذاك ان الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنّما أورثوا أحاديث من أحاديثهم فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه؟ فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين ".

والملاحظ فى نظرية أهل البيت عليهم السلام، أنها تضع هؤلاء الفقهاء مرجعاً للفكر الإسلامي ليس فقط في مقابل التيارات الكافرة وإنّما في مقابل الاتجاهات المنحرفة، والتأويلات الباطلة التي تحدث في داخل الدائرة الإسلامية نفسها وعلى أيدي رجال يضعون أنفسهم موضع المرجعيّة الفكرية للدين.

المصدر: مجلة آفاق الحضارة الاسلامية العدد ١٠

▫ مقالة

الثابت والمتغير في الحداثة والكلام والفقه

▫ السيد علي الحسيني

▫ الانتباه: الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

سُئِلَ (عليه السلام) عَنْ قَوْلِ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وآله): "غَيِّرُوا الشَّيْبَ وَ لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ"، فَقَالَ (عليه السلام): إِنَّمَا قَالَ (صلى الله عليه وآله) ذَلِكَ وَ الدِّينُ قُلٌّ، فَأَمَّا الْآنَ وَ قَدِ اتَّسَعَ نِطَاقُهُ وَ ضَرَبَ بِجِرَانِهِ فَامْرُؤٌ وَ مَا اخْتَارَ (نهج البلاغة)

يبرز "الثابت والمتغير" كعنوان في أربعة حقول معرفيّة مختلفة: ففي نظرية المعرفة يقسّم العلم إلى كليّ وجزئيّ، والكليّ هو "الثابت"، والجزئي هو "المتغير"، وعلى صعيد الفلسفة حين التعرّض إلى أنّ دائرة الوجود تسع الماديّ، والمجرّد، وبكلمة بديلة: الوجود منه "متغيّر"، ومنه "ثابت"، وفي قسم الإلهيات بالمعنى الأخص يأتي في سياق إشكالية ارتباط العالم الحادث بالوجود الإلهي الواجب الثابت، ولا شأن للمقال بهذه السياقات، إنّما شأنه الثابت والمتغيّر (الديني)، الذي دخل ساحة الفقه وأصوله متأخراً؛ استجابة للأسئلة التي فرضتها الحياة(المتغيّرة) وتطوراتها على فقه الشريعة (الثابت).

▪ سؤال الثابت والمتغيّر

أظهر الواقعُ المتغيّر للحياة العديدَ من الموضوعات الجديدة، مثل: أحكام البنوك والمصارف والحوّالات، وبيع العملات الأجنبية، والتلقيح الصناعي، وتحديد النسل، والاستنساخ البشري، إلخ من موضوعات جديدة في الطب، والبيئة، والاجتماع، والسياسة، والاقتصاد، مما لم يكن وجود صدر الإسلام...في المقابل، يتمسّك الفقه الإسلامي بمسلّمتين:

أولاً- الاستيعاب، فلا شيء يقع في مسرح الحياة إلا وله في الفقه حكم، وقد قيل: ما من واقعة الا ولها حكم.

ثانياً- الدوام، وقد ثبت في الأحاديث: إنّ حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة.

وتأسيساً على ذلك، يبرز السؤال التالي:

كيف تستجيب الشريعة، المحكومة بالثبات(الشمول والدوام) أن تستجيب للمتغيرات؟! والمعني بالإجابة عنه من هذه الزاوية؛ هو أصول الفقه، بيد أنّ لعلم الكلام صلة فيه أيضاً، فيما لو نُظر إليه على أنّه اعتراض يعتور دوام التشريع الاسلامي من حيث الصلاحية لكل زمان ومكان، وعندها يتناوله علم الكلام ليمارس أحد أدواره ممثلاً بدفع الشبهات، وإذن، فالسؤال ذو وجهين: إشكالية أصوليّة، وهو أيضاً شبهة كلاميّة؛ نظراً لاختلاف المجالين في الهدف والغاية.

أ) المنظور الحداثي للثبات والمتغير:

اختلفت الأنظار حيال مسألة: الثابت والمتغير على طرفين، ووسط، فالحداثة لا تؤمن بالثبات مطلقاً، والمنحى الإسلامي التقليدي لا يرضى بالتغير مطلقاً، وبينهما تقع رؤى لمفكرين وعلماء مجددين.

والحداثة موقف فكري بالدرجة الأولى، إطاره الفكري يضم ثلاثة أُسس رئيسة: العقلانية، والفردانيّة، والتطوّر، وهي غير التحديث (التطور المادي والاقتصادي والصناعي..)، والتقابل بينهما كما البناء التحتي و الفوقي في الماركسيّة...، وتفهم الحداثةُ الدين في ضوء أُسسها، فتدعو لعقلنته، وأن يكون شأناً شخصياً بين الإنسان وربّه، وعلاوة لعنصر التغير والاستجابة للمتغيرات.

ومن هذا المنطلق، ترفض الحداثة الدين الذي ينظر لله كغاية، وللإنسان بوصفه عبداً مكلفاً، وللآخرة كمسعى نهائي ينبغي حضوره في حياة الكائن البشري، والأهمّ الآن هو رفضها لعنصر الثبات في الدين، ففي المقابل، وانطلاقاً من تلك الأسس، تؤمن الحداثة بأصالة الأنسان بدلاً عن الله، وتضع الدنيا موضع الآخرة، كما وتنطلق من التطور العام في الحياة و التغيير المطرد لكل شيء لصالح الإنسان !، ضمن ذلك -طبعاً- الدين، نعم، تستثني بعض توجهات الحداثة من مقصلة النسبيّة: القيم الأخلاقيّة، و المقاصد العليا كالعدل، والعقائد الكبرى كالتوحيد والنبوة، وتخص المنظومة التشريعية بالتغيّر والتطوّر.!

ب) الثابت والمتغير في الكلام:

إنّ الإيمان بختم النبوة و انقطاع الوحي، يعني تناهي مصادر ونصوص التشريع(القرآن والسنة) وثباتها بلا زيادة ولا نقصان، الأمر الذي يولّد فجوة مع الحاجات الصاعدة والمتزايدة المفروضة بحكم تجدد الحياة واتساع رقعة المتطلبات، إنّها مشكلة استيعاب المحدود للامحدود، والجمع والتوليف بين الماضي والحاضر، وتجسير العلاقة بين القديم والجديد، الأصالة والتجديد، هو إذن، سؤال الثابت والمتغير!

تابع الصفحة التالية ◀

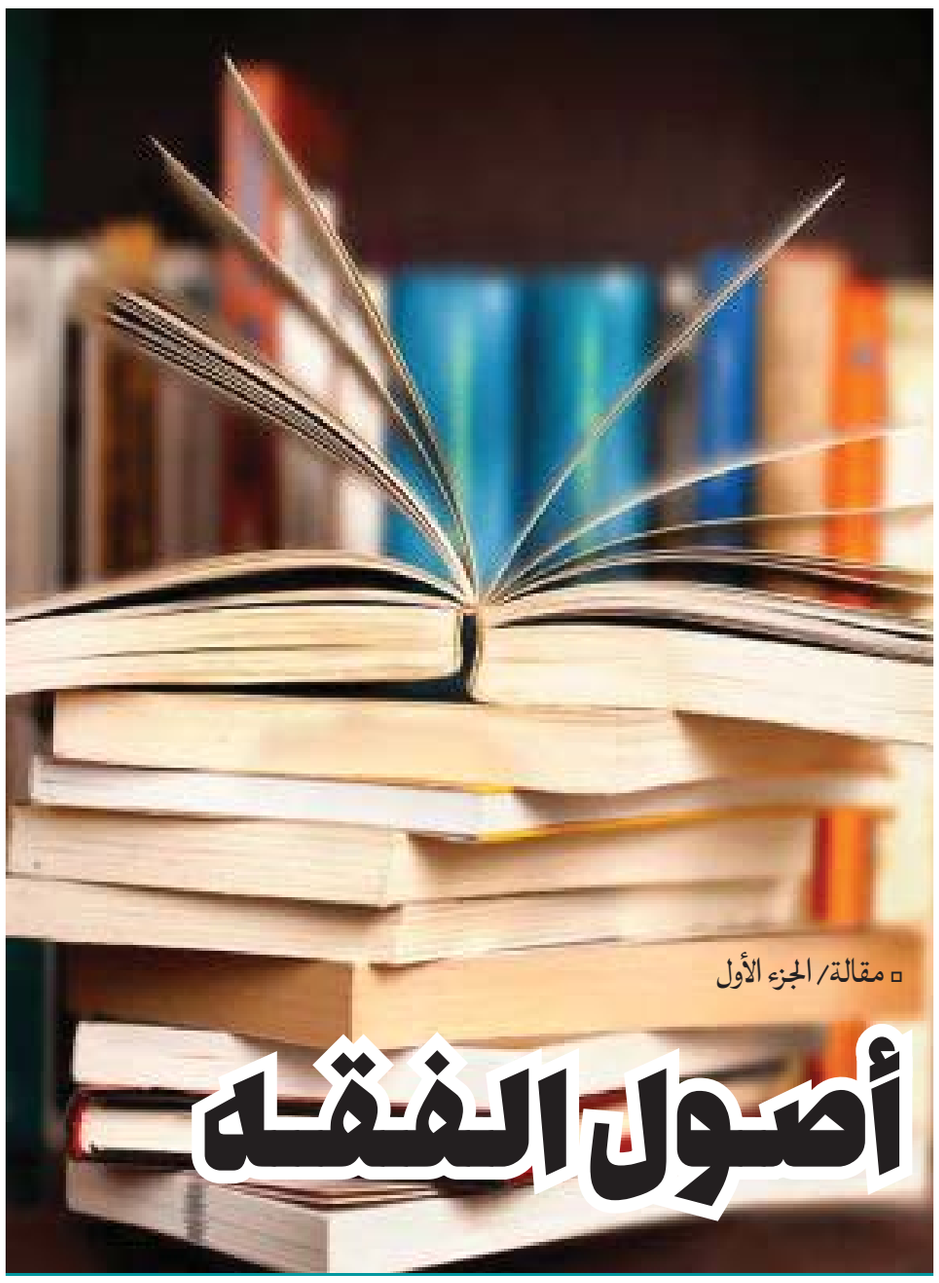

▫ مقالة/ الجزء الأول

أصول الفقه

▫ المؤلف: احمد پاکتچی

أُصولُ الْفِقْه، أحد فروع العلوم الإسلامية والذي يُعدّ علماً آلياً بالنسبة لعلم الفقه. وليس من السهل تقديم تعريف جامع ومانع لعلم كعلم أصول الفقه الذي مرّ على مدى تاريخ تبلوره وانتشاره بمراحل مختلفة، وأضيفت إلى نطاق بحوثه في كل مرحلة بحوث جديدة. و إن نظرة تاريخية إلى التعاريف التي عُرضت له، توضح هذه الحقيقة و هي أن تعريف أصول الفقه أيضاً كتابع لنطاق موضوعاته، كان عرضة للتغيير في كتب هذا العلم.

و كان مصطلح أصول الفقه يستخدم في البدء بمعنىً معادل لمصطلح «أدلة الفقه»، و قد استقى معنى مصطلحه بوصفه علماً خاصاً من هذا المفهوم. و بمراجعة آثار مؤلفي القرنين ۴و۵ه / ۱۰و۱۱م، يمكن أن ندرك أنه خلال تلك الفترة لم يكن المفهوم القديم في استخدام تعبير أصول الفقه بمعنى العلم المقصود، قد أودع بعدُ زوايا النسيان، و أن العلاقة بين هذين المعنيين كانت مشهودة بشكل تام.

وربما كانت أسهل طريقة للتعامل مع مصطلح أصول الفقه هي أن ننظر إليه من زاوية نحوية بوصفه تركيباً إضافياً، ولما كان «الأصل» في اللغة هو «ما يبتنى عليه الشيء»، فأصول الفقه تُعدّ عبارة عن الأمور التي يُبتنى عليها علم الفقه. وبرغم أن هذا المعنى ولأجل إيضاحه وجد له شرحاً متبايناً في الفترات المختلفة في تاريخ أصول الفقه، لكنه بشكل إجمالي مقياس مشترك يلاحظ في شتى تعاريف أصول الفقه في مختلف القرون.

ولدى البحث في سبيل العثور على تعريف في آثار المتقدمين، يجدر أولاً الحديث عن التعاريف الأولية المعروضة في آثار مؤلفي القرن ۵ه / ۱۱م والذي تزامن مع تأليف أوائل الآثار الأصولية الوافية لدى المذاهب الفقهية المختلفة. ورأى الشريف المرتضى أن أصول الفقه عبارة عن كلام في كيفية دلالة ما يدل من هذه الأصول على الأحكام عن طريق الجملة دون التفصيل، كما طُرحت في آثار الآخرين أيضاً تعاريف مقاربة من هذا التعريف.

وتجدر الإشارة إلى تعريف موجز، لكنه مختلف للمحقق الحلي (ت ۶۷۶ه / ۱۲۷۷م) بوصفه حلقة وصل بين التعاريف المتقدمة والتعاريف المتأخرة والذي عَدّ أصول الفقه عبارة عن طرق الفقه على الإجمال. وإنما يمكن أن يُعدّ هذا التعريف حلقة وصل بين مرحلتين، فلكون متأخري الإمامية ـ خلافاً للمتقدمين ـ كانوا يرون أن علم أصول الفقه ليس معرفة الأدلة، بل معرفة القواعد الممهّدة لاستنباط الأحكام الشرعية.

وبحسب بعض النصوص الأساسية في أصول الفقه الإمامي التي تعود للقرون المتأخرة، فإن القول المشهور في تعريف علم الأصول هو «العلم بالقواعد الممهّدة لاستنباط الأحكام الشرعية الفرعية». ومن أحدث التعاريف المقدمة بهذا الشأن هو تعريف آخوند الخراساني القائم على أن علم الأصول «صناعة تُعرف بها القواعد التي يمكن أن تقع في طريق استنباط الأحكام، أو التي يُنتهى إليها في مقام العمل». ومهما يكن، فإنه ينبغي الانتباه إلى أن تاريخ تحول تعريف هذا العلم يتناسب تناسباً مباشراً مع تاريخ اتساع نطاقه؛ وحيثما دخلت أصول الفقه في مسارها التاريخي مرحلة جديدة، برزت الحاجة إلى إعادة النظر في تعريفها.

الخلفية التاريخية لأصول الفقه في القرن الأول الهجري

مما لاشك فيه أن علم أصول الفقه هو أحد العلوم التي وُضع أساسها في الثقافة الإسلامية واستمر تطوره وتكامله في نفس البيئة الثقافية. ويجدر القول إنه في أول فترة من تاريخ العلوم الإسلامية، أي القرن الأول الهجري، حتى إن ذا المقدمة الأصول، أي علم الفقه، كان يطوي مرحلته الأولى و غير المدونة ولمّا يكن قد تبلور بشكل علم ومجموعة من التعاليم المنتظمة. ولدى البحث عن جذور أصول الفقه وبالاستلهام من التحليل اللغوي ـ التاريخي لتركيب أصول الفقه، يجدر متابعة النماذج الأولى للتعامل النظري وغير المصداقي مع استخدام الأدلة الفقهية للقرن الأول الهجري. وواضح أن الحديث يأتي بهذا الصدد عن الكتاب والسنة أولاً، وستأتي الأساليب الأخرى في المراتب اللاحقة.

ولدى التعامل مع الكتاب ينبغي التذكير بأن المسلمين قاطبة في القرن الأول الهجري، كانوا لايرون الاستناد إلى عمومات الكتاب وظواهره أمراً مناسباً في حالة وجود أحاديث معتد بها في التخصيص والتفسير. و قد روي هذا الأمر في قالب نظريات قصيرة ولكنها بليغة، عن بعض التابعين مثل سعيد بن جبير وكذلك عن الأئمة عليهم السلام.

أما عن الدليل الثاني، أي السنة، فينبغي في البدء الإشارة إلى الاختلافات الموجودة بين الأخبار المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله، و أنه من البديهي أن حل الاختلافات بين الأحاديث المنقولة وترجيح بعضها على البعض الآخر بغية الحصول على الحكم الشرعي كان من أوائل الحالات التي يستشعر فيها الباحثون في الفقه، الحاجة الماسة إلى طريق للحل، أو بتعبير آخر إلى نظرية أصولية. و إن أنموذجاً من أقدم الأقوال في تحليل اختلاف الأحاديث مما يمكن أن يُعدّ تعاملاً غير مصداقي ونظرية في مجال نقد الأخبار، هو القول الوافي نسبياً برواية أبان بن أبي عياش عن الإمام علي عليه السلام. وعلى عهد التابعين، اتسع هذا الاختلاف في نقل السنة النبوية بشكل أكبر و في نهاية القرن الأول الهجري، كان هناك حديث عن أساليب للتعامل مع اختلاف الأحاديث يمكن أن ينظر إليها بوصفها أولى النظريات بهذا الصدد. و من بينها، تستحق نظرية التابعي البصري، ابن سيرين، الوقوف عندها، والتي ترى أنه في إمكان الجمع بين الحديثين مع مراعاة الاحتياط، فإن المرجح هو العمل بالحديث الأحوط، برغم أن العمل بالحديث الآخر أيضاً عُدَّ جائزاً.

و عن الدليل الثالث ينبغي القول: إن من أقدم النماذج المتوفرة عن طرح حجية الإجماع بوصفها نظرية، الرواية القصيرة على لسان المسيب بن رافع الأسدي، أحد فقهاء التابعين في الكوفة (ت ۱۰۵ه / ۷۲۳م) الذي تحدث عن مبادئ التحكيم لدى السلف بقوله: «كانوا إذا نزلت بهم قضية ليس فيها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أثر، اجتمعوا لها وأجمعوا، فالحق فيما رأوا». وبنظرة تحليلية نجد أن كلام المسيب حول أسلوب السلف هو في حقيقته ليس رواية تاريخية، بل هو إظهار لنظرية أصولية. ويلاحظ نظير تعامله الرمزي أيضاً في رواية عن فقيه بلاد الجزيرة ميمون بن مهران.

وفضلاً عن الاستنادات النقلية، فإن استخدام الرأي ـ الذي كانت له خلفية منذ عصر الصحابة ـ كان قد وسّع من نطاق الاختلافات الفقهية وكانت الظروف بمجملها تستلزم ضرورة نظام تبويب لمصادر الفتوى وتحديد الأولويات. وبوصفها أولى الخطوات على طريق اقتراح نظام كهذا في عصر التابعين، ينبغي الاستناد إلى الروايات التي برغم كون مضمونها منسوباً للصحابة، إلا أن رواجها القطعي لمّا كان قد تمّ في عصر التابعين، فيمكن أن تُعَدّ انعكاساً لفكرتهم حول مصادر الفتوى. ففي هذه المجموعة من الروايات المنسوبة ـ مع اختلاف في اللفظ ـ إلى ابن مسعود والخليفة عمر ومعاذ بن جبل وابن عباس يلاحظ الاعتماد على الكتاب والسنة بوصفهما دليلين مقدَّمين، وتجويز «اجتهاد الرأي» بوصفه حلاً أخيراً، و لم ترد إلا في بعضها إشارة إلى دليل ثالث. وتلاحظ هذه الإشارة في بعض الروايات بشكل «هذا ما حكم به الصالحون»، و في البعض الآخر بشكل «الحكم الذي اتفق عليه الناس (المسلمون)»، وكان هذان الشكلان أرضية لطرح البحث في حجية أقوال الصحابة وحجية الإجماع.

و في تحليل هذه الروايات وبالاستفادة من معطيات تاريخ الفقه، يجدر القول إن رواج نظرية تبويب الأدلة وطرح الوسائل الفقهية للرأي والإجماع وأقوال الصحابة في هذه الروايات بشكل متزامن في أواخر القرن الأول الهجري، كان مرافقاً لتطور علم الفقه وحاجة الفقه المتزايدة إلى طرح نظريات كهذه. وكان ازدهار الردّ على المسائل التقديرية (الفرضية) في الأوساط الفقهية يضطر الفقهاء إلى أن يقيموا بين المسائل التي تمت الإجابة عليها مسبقاً والمسائل التي لم يُردّ عليها، علاقة نظرية وانتزاعية تتعدى حدود المصاديق؛ ويضعوا في الحقيقة أقدامهم على طريق بلورة علم الأصول.

وقبل الخوض في مراحل تبلور علم أصول الفقه، ينبغي التذكير بأن المذاهب الإسلامية المختلفة لعبت دوراً فاعلاً جداً في هذا المضمار ويمكن بصعوبة دراسة هذه المراحل التي تعود إلى تاريخ مشترك لعلم واحد بحسب التقسيم إلى مذاهب. وبرغم ذلك، فإن ضرورة نوع من الترتيب والتبويب في طرح البحث من جهة، وإمكانية تقديم تفكيك نسبي بين المدارس الأصولية للشيعة وأهل السنة من جهة أخرى، يمكنهما أن يكونا مسوغاً لعرض تقسيم كهذا في هذه المقالة؛ وبطبيعة الحال، لاينبغي النظر إليه بوصفه تفكيكاً مطلقاً. و في هذا التبويب استخدم مصطلح أهل السنة بمعناه الأعم والمتأخر، الذي يشمل جميع المدارس الإسلامية، عدا مدرستي الشيعة والمحكِّمة. و لم تبحث في هذه المقالة، سوى التيارات المهمة في تاريخ أصول الفقه وبنظرة عامة، بينما سيرد البحث في التطور التاريخي لكل واحد من فروع علم الأصول مثل الأدلة وكذلك مباحث الألفاظ كل في موضعه.

أصول الفقه في مدارس أهل السنة

في النصف الثاني من القرن ۲ه / ۸م كان انتقال الفقه من مرحلته البدائية إلى مرحلة «الفقه التقديري»، أو المنظم انتقالاً سريعاً صاحبته نزعة واسعة إلى الرأي والأساليب الاجتهادية التي لم تكن قد دُوِّنت بعد. وكان هذا الأمر قد أدى بدوره إلى ظهور اختلافات واسعة في الفتاوى وإلى اضطرابات في أمر القضاء. وبرغم أن فكرة «اختلاف أمتي رحمة» لاقت في بداية هذا القرن، استقبالاً ملحوظاً في الأوساط الفقهية، لكن سعة تشتت الآراء واختلاف الأساليب في القضاء والإفتاء كان قد أشاع الرعب في صفوف بعض أصحاب النظر.

و في بداية القرن ۲ه على وجه التحديد، طلب جمع من العلماء في رسالة وجهوها إلى عمر بن عبد العزيز، الخليفة آنذاك أن يجمع الناس على مذهب واحد، لكنه لم يجد مصلحة في ذلك، واعترف رسمياً من خلال الرسائل التي أرسلها إلى مختلف البلدان بالاختلاف بين المذاهب المحلية. و في السنوات الأولى من الخلافة العباسية (بين ۱۳۶-۱۴۲ه / ۷۵۳-۷۵۹م) أشار ابن المقفع، الكاتب الإيراني الشهير في رسالة وجهها إلى الخليفة المنصور، إلى اتساع نطاق الاضطرابات في القضاء، وشجع الخليفة على تدوين الأساليب القضائية وأساليب استنباط الحكم وإبلاغه إلى الجميع على شكل جدول أعمال.

إلا أن تدوين وتوحيد الأساليب، سواء كان في القضاء، أو في الإفتاء بالأسلوب الذي كان ابن المقفع يقترحه لم يتحقق عملياً في ذلك العصر، وربما كان اقتراح كهذا غير عملي مبدئياً في المجتمعات الإسلامية المختلفة، مع وجود تباين في النزعات واختلاف في الأوضاع الاجتماعية؛ لكن وبمرور الزمن ومنذ أواسط القرن ۲ه، حيث كان الفقه بدأ خطواته على طريق التدوين و التنظيم، تطلبت الظروف ظهور أساليب نظرية، أو أصول فقه. وكما كان «أصحاب أرأيت» في عصر التابعين يبحثون عن نظام فقهي يتمتع بعلاقة منظمة بين المسائل وبالقدرة على الإجابة على المسائل الاحتمالية دون التقيد بقيود المصاديق، فإن أخلافهم، أي أصحاب الرأي أسسوا منذ أواسط القرن ۲ه ـ مواكبة لتدوين الفقه ـ أول قواعد علم الأصول.

ألف ـ دور أصحاب الرأي في وضع مبادئ علم الأصول

إذا كان البحث في اللبنات الأولى يُقصد منه العثور على بواكير الآثار التي أُلفت بموضوع أصولي، فإنه لايمكن العثور حتى على نماذج مشكوك بأمرها، إلا في النصف الثاني من القرن ۲ه؛ إلا أن ما لايقبل الشك هو تصور منزلة بين مرحلة عدم نضج الأساليب النظرية في الفقه إبان القرن ۲ه و بين مرحلة تأليف الآثار الأصولية، عبّد فيها علماء ببحوثهم المتواصلة في محاضراتهم الفقهية، الطريق لمدوّني الأصول. فإذا تجاوزنا الرسالات المفردة والبحوث المتفرقة في بعض المسائل موضع الخلاف، كالقياس والتي رويت نماذج لها من أواسط القرن ۲ه، يبرز للعيان اسما اثنين من فقهاء أصحاب الرأي بوصفهما رائدي تيار التدوين في مضمار أصول الفقه في النصف الثاني من ذلك القرن: أولهما أبو يوسف (ت ۱۸۲ه / ۷۹۸م) وثانيهما محمد بن الحسن الشيباني واللذان ينبغي أن تُعَدّ جهودهما مستقاة من محاضرات مجلس أبي حنيفة. وبرغم أن إمام أصحاب الرأي، أبا حنيفة لم يؤلف في أصول الفقه، لكن دراسة وتحليل الفقه اللذين خلّفهما يظهران أنه كان قد نجح إلى حدّ كبير في تنظيم هيكلية فقه الكوفة على أساس أصول نظرية.

وبوصفه أول قاضي القضاة في الخلافة الإسلامية، كان يشرف على قضاة شتى البلدان، ربما كان أبو يوسف يدرك أكثر من غيره ضرورة تدوين الأصول النظرية للفقه وإيجاد الأسلوب الواحد نسبياً بين القضاة، الذي كان ابن المقفع قد أشار إليه سابقاً، حيث استطاع و هو الذي استقى تعاليمه من مجلس أبي حنيفة، وبتأليفه كتاباً يحمل عنوان أدب القاضي الذي يُعَدّ أول كتاب إسلامي في هذا المضمار، أن يدوّن إلى حدّ ما ضوابط وقوانين القضاء. و لاشك في أنه لايمكن لهذا المؤلَّف أن يُعدّ أثراً في أصول الفقه، لكن ونظراً للزمن الذي يجري فيه الحديث عنه، فينبغي أن يُعدّ هذا الأثر من أوائل الخطوات على طريق تدوين علم الأصول. وربما كانت نسبة بعض المتقدمين إلى أبي يوسف أثراً في أصول الفقه إشارة إلى تأليفه هذا، مع الأخذ بنظر الاعتبار علاقته بتدوين أصول الفقه، برغم أن وجود أثر له مستقل بعنوان أصول الفقه أيضاً ليس بعيداً جداً عن الاحتمال.

و في آثاره الباقية، تناول أبو يوسف في عدة مناسبات الكثير من البحوث الأصولية، مثل البحوث الخاصة بالقياس والاستحسان و كذلك حجية خبر الواحد وكان يؤكد بشكل خاص على تقنين الاستدلالات الفقهية، ولدى نقده فقه المخالفين، أخذ عليهم اضطراب الاستدلال وعدم اتساق الأساليب. و قد عاب في آثاره المعروفة على فقهاء أصحاب الحديث عدم معرفتهم بما سماه أصول الفقه، وبذلك، أظهر اهتمامه واهتمام علماء مدرسته بأصول الفقه ـ وإن ليس بمعناها المصطلح، بل بموضوع باسم أصول الفقه ـ بشكل كان ينفع الفقيه في تنظيم الاستدلالات وجعل الأساليب على منوال واحد.

وكان محمد بن‌الحسن الشيباني (ت ۱۸۹ه / ۸۰۵ م) التلميذ الآخر لأبي حنيفة قد ألف ـ بحسب رواية ابن النديم ـ كتاباً بعنوان أصول الفقه، ينبغي أن يعدّ استمراراً لمسيرة أبي يوسف في تنظيم هيكلية الأصول. وكان قد ألف ـ فضلاً عن الأثر المذكور ـ رسالة بعنوان اجتهاد الرأي كانت ذات أرضية أصولية. والأثر الآخر لمحمد بن الحسن الشيباني، المسمى الاستحسان له مضمون أصولي ـ فقهي انبرى فيه المؤلف بتحليله النماذج، لتبيان صحة نظرية الاستحسان الأصولية على أساس مراعاة العرف وتجنب العسر والحرج.

إن أهم شخصية حنفية يجدر ذكرها في القرن التالي ضمن تيار تدوين أصول الفقه، أبوموسى عيسى بن أبان (ت ۲۲۱ه / ۸۳۶ م) من تلاميذ محمد بن الحسن الشيباني الذي كان قد ألف آثاراً في أصول الفقه، والذي حظيت آراؤه الأصولية باهتمام كتّاب أصول الفقه من بعده من الحنفية وغيرهم. ومن السمات البارزة في بحوثه الأصولية، تناول الدليل الثالث، أي الإجماع بنظرة متفاءلة، خلافاً للمتقدمين من أصحاب الرأي، وهي تمثل بذاتها خطوة مهمة على طريق اقتراب الأصول الحنفية من الأصول الشافعية وقبول منظومة الأدلة الأربعة المعروضة في الرسالة للشافعي.

يُتابع

المصدر: مركز دائرة المعارف الإسلامية الكبرى

الثابت والمتغير في الحداثة والكلام والفقه

من الصفحة السابقة

وينطوي الطرح آنفاً على نظرة اختزاليّة، يركّز على جانب، ويهمل آخر لا يقلّ أهميّة عن سابقه، يتمثّل باحتواء الإسلام على مفاهيم عامة، ومبادئ ثابتة، تعالج المتغيرات، وتبثُّ فيه المواكبة على الدوام، وترفده بمتطلبات الاستجابة للجديد، وهي مبادئ داخلية أصيلة، لم يفرضها الواقع المتغير، كما قد يُتخيّل، دونك ثلاثة من أبرزها:

١.الإيمان بدور العقل:

إذ لا يقتصر ذلك الإيمان بقدرة العقل على معرفة المتجاوز للمادة فقد ورد في الحديث (بالعقل عرف العباد خالقهم)، بل يتجاوزه إلى الإيمان بمرجعيّته في معرفة بعض الأحكام وقدرته على تشخيصها، ومدار ذلك الدور . على تفصيلاته المتشعبة . يعود للقاعدة المعروفة بالحسن والقبح التي يقرر الإمامية عقليتهما، فمن فروعها: قاعدة البراءة العقلية، وأنّ عدم البيان بيان للعدم أو قبح العقاب بلا بيان، فببركتها يحكم بعدم الوجوب أو الحرمة إلا بدليل، أو قاعدة مقدمة الواجب واجبة، فبها مثلاً يُحكم بوجوب قطع تذكرة الطيران للحج، الذي يعدُّ من الموضوعات الجديدة.

٢.العمومات الثابتة، والمصاديق المتغيرة:

توهمتْ الإشكالية أيضاً أنّ تجدد الجزئيات التي لم يكن لها واقع ووجود في زمن نصّ يعني خلو الشريعة من الحكم عليها! وهو توهم فاسد، فحين يوجب القرآن الكريم الاعداد للعدو، دون أن يحصر مفهوم الإعداد بمظهر معين أو يقصره بمصداق محدد: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ۶۰] فهذا يعني شموله لكل مظاهر الإعداد المختلفة حسب الأزمنة والأمكنة، ففي وقت يقع المفهوم على السيف، وفي آخر على الطائرة..وهكذا، وعين الكلام يجري في حرمة التجسس، و وجوب معاشرة الزوجة بالمعروف، المنصوص عليهما في القرآن.

٣.القوانين الحاكمة، والأحكام العليا:

يتصدر الدستور في الدول والنظم الحديثة، ويحتل الصدارة في الأنظمة الوضعيّة، ويقع فيها موقع الأبوة والمبدأية، فليست نصوصه [ومواده] قوانين، إنما مبادئ قوانين، تؤخذ بنظر الاعتبار عند سنّ أي قانون، و تكون لها الحاكمية والمرجعية المقدمة على ما سواه في التشريعات، من ثمّ تتربع النصوص الدستوريّة على عرش المنظومة القانونية وتمثّل الأحكام العليا...

ويضاهي ذلك ما في الشريعة؛ إذ تستبطنُ أحكاماً عُليا، ومبادئ حاكمة مسلّطة على غيرها من الأحكام، لها الأولوية والتقديم و تجلس على عرش تشريعاته، وتضخ على الدوام روح التجدد والمواكبة وترفع سلفاً أيّ افتراض يشي بعدم واقعية أحكام الدين، منها مثلاً: نفي الحرج، والاضطرار، والاكراه... وغيرها من مبادئ استُلث أصولها من نصوص قطعية، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ۷۸]. (للإفاضة، راجع إلهيّات السبحاني).

ج) الثابت والمتغير فقهياً:

نتلمّس في الآثار ومن وقت مبكر أمثلةً واضحة على حدوث تبدّل في بعض الأحكام الشرعية، سواء على مستوى النصوص، مثل: نصّ نهج البلاغة في مقدمة المقال، أو على مستوى الاجتهاد أيضاً، نقع على بذور جليّة للمسألة في كلمات فقهاء قدماء...يعلّق الصدوق (ت۳۸۱ه) مثلاً على حديث: الفرق بين المسلمين، والمشركين؛ التلحّي بالعمائم، قائلاً: ذلك في أوّل الاسلام وابتدائه، وقد نقل عنه (صلى الله عليه وآله) أهلُ الخلاف أيضاً أنّه أمر بالتلحّي ونهى عن الاقتعاط. (من لا يحضره الفقيه،ج۱/۲۶۶)، والمقصود بالتلحّي هو أن يضع جزءاً من العمامة (الحنك) تحت لَحْيَيْه وحنكه، والاقتعاط خلافه، أي وضعها على الرأس دون إدارة الحنك، ولعلّ هذه أقدم إشارة واضحة لتغير حكم شرعي.

وفيما بعد، تناول الفقهاء المسألة بعنوانها تارة، و على نحو متفرق في مسائل الفقه وأصوله أخرى، و بعنوان مختلف تارة ثالثة، كعنوان: تأثير الزمكان على الحكم؛ ذلك أنّ من يرى في الزمان والمكان مدخليّة ودور في الحكم- فهو بالضرورة يُقرّ بثنائية الثابت والمتغير، ويؤمن بالتغيّر...نعم، يقع الجدل بينهم في مساحة ذلك المتغير، وفيما يلي عرض سريع لثلاثة اجتهادات، قاسمها المشترك هو ـ مضافاً إلى الإيمان بثنائية الثابت والمتغير ـ أنّها تُرجع أمر الأحكام المتغيرة لـ(ولي الأمر):

١.الصدر، و منطقة الفراغ:

وتتلخص رؤيته في أنّ كلّ حكمٍ ثبت للشارع فيه إلزام(وجوب أو حرمة) فهو ثابت لا تناله يد التغيّر، وأمّا الأحكام غير الإلزاميّة فأناط الإسلام شأن تغيرها لولي الأمر... يضع فيها من الأحكام ما يتناسب مع واقع الحياة منطلقاً في ذلك من أهداف الدين، وغاياته ومقاصده.

وقد عبّر عنها الصدر بـ(منطقة الفراغ)، مستدلاً عليها بآية أولي الأمر، نافياً استلزامها النقص أو الإهمال التشريعي، " بل تعبّر عن استيعاب الصورة، وقدرة الشريعة على مواكبة العصور المختلفة، لأن الشريعة لم تترك منطقة الفراغ بالشكل الذي يعين نقصا أو اهمالا، وإنما حددت للمنطقة أحكامها يمنح كل حادثة صفتها التشريعية الأصيلة، مع اعطاء ولي الأمر صلاحية منحها صفة تشريعية ثانوية، حسب الظروف، فاحياء الفرد للأرض مثلا عملية مباحة تشريعيا بطبيعتها، ولولي الأمر حق المنع عن ممارستها، وفقا لمقتضيات الظروف..."

(الصدر-اقتصادنا،ص۶۸۹).

٢.الطبأطبائي، وصلاحيات ولي الأمر:

وأمّا الأحكام المتغيرة فتنتهي إلى أصل في الإسلام وجزء من أحكامه الثابتة وهو: (صلاحيات ولي الأمر) ومن وجهة نظر الطبأطبائي فإنّ " هذا الأصل في الإسلام يلبّي احتياجات الإنسان المتغيرة في كل عصر، ويستجيب للتبدلات في كل منطقة ومكان ومجتمع.." ويقرّب ما لولي أمر المسلمين من سلطة وحق للتصرف في الحياة العامة بما للفرد المسلم في الحياة الخاصة، ولكل منهما في سلطته ضوابط" فالحاكم يستطيع في إطار التقوى ومع رعاية الأحكام الإسلامية الثابتة أن يتصرف . مثلاً . في الأموال والبيوت والممتلكات لما يؤدي إلى شق الطرق...". (الطبأطبائي-الأحكام الثابتة والمتغيرة في الإسلام- ضمن كتاب: مقالات تأسيسية في الفكر الإسلامي ص۱۰۹).

المصدر: مركز الرصد العقائدي

مقالة

إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام: الشعيرة العظمى

روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال للفضيل بن يسار: يا فضيل «أتجلسون وتتحدثون؟» قال: نعم جعلت فداك. قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن تلك المجالس أحبها. فأحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا».

مدخل

إنّ إحياء ذكر أهل البيت عليهم السلام، وإحياء مناسباتهم ليست عادة بشرية أو تقليداً اجتماعياً ابتكره الناس، وإنما هي مستنبطة ومأخوذة ومستوحاة من كلام أهل البيت عليهم السلام. فإحياء ذكر أهل البيت ومناسباتهم يعتبر بالنسبة لنا عملاً شرعياً نقوم به بدافع تعبّدي.

لقد ثبت عندنا أن أقوالهم وأفعالهم عليهم السلام حجة من الناحية الشرعية، ولذا نحن ملزمون بالأخذ بأقوالهم، وهم أمرونا بهذا الشيء. ونحن نأتمر بأمرهم تعبداً لله سبحانه وتعالى.

والروايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام تأمر بإحياء ذكرهم كهذا الحديث الذى تبركنا بذكره، وهو مروي عن الفضيل بن يسار، وهو عالم من العلماء الثقات من مدرسة أهل البيت، عاصر الإمام الباقر عليه السلام وتتلمذ على يديه، وعاصر الإمام الصادق عليه السلام وتتلمذ على يديه، وكان الإمام الصادق عليه السلام إذا رأى الفضيل قد أقبل يقول:«بخ بخ بشر المخبتين أن الأرض لتأنس بفضيل بن يسار» وكان عليه السلام يقول «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا» إلى فضيل بن يسار وحينما توفي رحمه الله وأُخبر الامام الصادق عليه السلام بوفاته وتغسيله قال: «رحم الله فضيلاً لقد كان من أهل البيت» فلاحظ مكانته، وشاهد موقعية هذا الرجل.

معنى الرحمة

الرَحْمة في اللغة الرِّقَّةُ والتَّعَطُّفُ والمغفرة وقوله تعالى: في وصف القرآن هُدىً ورَحْمةً لقوم يؤمنون أَي فَصَّلْناه هادياً وذا رَحْمَةٍ، وقوله تعالى ورَحْمةً للذين آمنوا منكم أَي هو رَحْمةٌ لأَنه كان سبب إِيمانهم، وإِنما قيل بسم الله الرَّحْمن الرحيم فجيء بالرحيم بعد استغراق الرَّحْمنِ معنى الرحْمَة لتخصيص المؤمنين به في قوله تعالى وكان بالمؤمنين رَحِيماً. وقال ابن عباس هما اسمان رقيقان أَحدهما أَرق من الآخر فالرَّحْمن الرقيق والرَّحيمُ العاطف على خلقه بالرزق.

كيف نحي أمرهم عليهم السلام؟

أمر أهل البيت عليهم السلام الذي أوصت الروايات المأثورة عنهم بإحيائه هو معالم الدين الاسلامي الذي يُعرف من طريقهم في مقابل ما يتداوله الناس من غير طريقهم, ذلك لانَّ طريقهم هو وحده الذي لم يشبْه انحراف أو تجاوز عما جاء به القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وعليه فكلُّ ما ثبت عنهم من تفسيرٍ للقرآن أو بيانٍ لاصول العقيدة وتفاصيل الاحكام الشرعية الفقهية وما أُثر عنهم من إيضاح لقيم الدين وتوصياته ومواعظه كلُّ ذلك يكون تناوله وتأصيله وترويجه داخل في سياق الإحياء لأمر أهل البيت عليهم السلام.

وكذلك فإنَّ عقد المجالس التى يُستعرض فيها مآثر أهل البيت عليهم السلام وسِيَرهم ومكارم أخلاقهم، والمجالس التى تعقد ليستعرض فيها البراهين والحجج المقتضية لتعيُّن أخذ الدين عنهم والتى هي تعبير آخر عن امامتهم, والمجالس التى تُعقد ليسْتعرض فيها ما يُنتج التوثيق للعلاقة والصلة بهم ليكون ذلك طريقًا لأخذ الدين عنهم والتمثُّل بسجاياهم ومكارم أخلاقهم, كُل ذلك يقع في سياق الاحياء لأمرهم.

وكذلك فإن استحضار ذكريات مواليدهم ووفياتهم وعقد المجالس لذلك واستثمارها لأجل تأصيل الولاء لهم وتوثيق الصلة بهم من خلال استعراض مآثرهم ومناقبهم والظلامات التى وقعت عليهم, واستثمارها كذلك لنشر أُصول العقيدة وقيم الدين ومبادئه التي ناضلوا من أجل ترسيخها في وجدان الأُمه, كُل ذلك يقع في سياق الإحياء لأمر أهل البيت عليهم السلام.

والذي يؤكد ما استظهرناه من أنَّ الإحياء لأمر أهل البيت عليهم السلام يشمل الاستحضار لمآثرهم ومناقبهم والظلامات التى وقعت عليهم هو ما رواه في قرب الاسناد بسنده عن ابي عبد الله عليه السلام قال لفضيل: تجلسون وتُحدِثون؟ قال: نعم جُعلت فداك قال: انَّ تلك المجالس أُحبُّها فأحيوا أمرنا, يافضيل من ذَكرنا أو ذُكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غُفر الله ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر.

وورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: اجتمعوا وتذاكروا تحفُّ بكم الملائكة رحم الله من أحيا أمرنا".

وورد كذلك عن شعيب العقرقوفي قال سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول لأصحابة اتقوا الله وكونوا اخوةً متحابّين بررة في الله متواصلين متراحمين تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه".

وروى الشيخ الكليني بسنده عن ابن مسكان عن خيثمة قال: دخلت على ابي جعفر عليه السلام اودِّعه فقال: يا خيثمة أبلغ من ترى من موالينا السلام وأوصهم بتقوى الله العظيم وان يعود غنيُّهم على فقيرهم وقويُّهم على ضعيفهم وان يشهد حيُّهم جنازة ميّتهم وان يتلاقوا في بيوتهم فإنّ لقيا بعضهم بعضاً حياةٌ لأمرنا رحم الله من أحى أمرنا"، فإنَّ الظاهر من هذه الروايات الثلاث ان المراد من إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام هو الاستحضار لمآثرهم وما أُثر عنهم من شؤون الدين, فكلا الامرين يُعدُّ من الإحياء لأمر اهل البيت عليهم السلام.

الإحياء بنشر علوم أهل البيت عليهم السلام

فالاحياء لأمر أهل البيت عليهم السلام هو الإسلام والرسالة الإسلامية، وكانوا يريدون إيصال رسالة الإسلام إلى الناس، هذه الرسالة التي جاءت على يد جدهم الاعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهم كانوا يتحملون مسؤولية توضيحها وتبيينها؛ لأن الفترة التي عاشها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن كافية لكي تتضح كل التفاصيل وكل المعالم، بالإضافة إلى الأشياء التي تستجد في حياة الأمة، وقد استجدت في حياة المسلمين أمور كانوا يحتاجون من يعلمهم ويوضح لهم رؤية الإسلام وموقفه تجاهها، وكانت وظيفة أهل البيت عليهم السلام تبيين وتوضيح رؤية الإسلام ورسالته على حقيقتها.

صارت هناك انحرافات وتشويهات بسبب أناس لم يكونوا مؤهلين لفهم أحكام الدين ولمعرفة مفاهيمه ممن تصدوا لتبيين الأحكام والإفتاء، وبعضهم كانوا مغرضين، إضافة إلى أن السلطات الأموية والعباسية أرادت أن تكيف الدين حسب أغراضها ومصالحها، نتج عن كل ذلك تشويه وتحريف في الدين. وكانت مسؤولية أهل البيت عليهم السلام إزالة التزوير والتزييف والتحريف، وتبيين الإسلام على حقيقته وواقعة.

إذن أمر أهل البيت هو الرسالة الإسلامية الخالصة النقية السليمة دون تحريف أو تزييف أو تزوير.

وأهل البيت يريدون من أتباعهم وشيعتهم إحياء أمرهم «أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا» وهو كما يقول الإمام: «يتعلم علومنا ويعلمها الناس»، وخاصة إذا علمنا أن هناك عوامل وأسباباً عديدة ترمي إلى التعتيم والكتمان، وتريد إماتة أمر أهل البيت وذكرهم. فإن السلطات المناوئة لأهل البيت من الأمويين والعباسيين قد بذلوا كل جهودهم من أجل أن يمنعوا الناس ويفصلوهم عن أهل البيت، ويمنعوا وصول كلام أهل البيت إلى الناس.

الإحياء باتباع أهل البيت عليهم السلام

يحيا أمرهم بتوضيح تعاليمهم والدفع والتشجيع للاقتداء والأخذ بتعاليمهم؛ حتى لا يكون الاتباع مجرد اسم وانتماء اجتماعي. بل ليكون المشايع لأهل البيت والموالي لهم ملتزماً بما التزم به أهل البيت عليهم السلام سائراً في طريقهم. وهذا هو التشيع الحقيقي. فإنه لا يكفي من يعتقد بإمامة أهل البيت مجرد الاعتقاد القلبي فقط، وإنما لابد أن يتبعه التزام سلوكي.

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ألا وإن لكل مأموم إمام يقتدي به ويستضيء بنور علمه».

المطلوب هو الاقتداء. وشيعة أهل البيت حينما يحضرون مجالس أهل البيت ويحيون أمر أهل البيت في وسطهم هذا يعني أنهم يتشجعون ويتعهدون بالسير في طريق أهل البيت عليهم السلام وبالأخذ بتعاليم أهل البيت.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «ما شيعتنا إلاّ من اتقى الله وأطاعه».

ويقول أيضاً: «إنما أنا إمام من أطاعني»، وعندنا روايات كثيرة تؤكد أن التشيع ليس مجرّد الاعتقاد أو المحبة القلبية، وإنما هو الالتزام السلوكي أيضاً.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «ليس من شيعتنا من يكون في مصر وفيه آلاف ويكون في المصر أورع منه»، وهذا يعني: كما أن أهل البيت كانوا هم النموذج الأسمى والأعلى كذلك شيعتهم بالنسبة إلى سائر الناس ينبغي أن يكونوا هم الأتقى والأورع والأفضل التزاماً وسلوكاً.

آثار إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام

إنطلاقاً من قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام للفضيل بن يسار «تجلسون وتتحدّثون...، فقال الإمام الصادق عليه السلام إنّ تلك المجالسُ أحُبّها أحيوا أمرنا فرحم أللّه من أحيا أمرنا فإنّ من جلس مجلسا يُحيى فيه أمرنا لم يمُت قلبه يوم تموت القلوب».

فيكون مفهوم ومعنى إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام هو التحرك الواعي والمُمنهج في دائرة المنظومة الفكرية والقيمية للمعصومين عليهم السلام ولأنّ إحياء أمر الحسين عليه السلام هيمن بقدسيته الربانية على أذهان المؤمنين على مرّ التأريخ. ولكن يجب الألتفات إلى أمر إمامنا المهدي عليه السلام والذي هو صاحب الأمر حقيقة والبقية الخاتمة لرسالة أللّه تعالى فلا يمكن التفكيك العقدي بين الأمرين أمر الحسين عليه السلام وأمر المهدي عليه السلام.

وحتى نكون من المُحيين الحقيقيين لأمر إمامنا الصادق عليه السلام والحسين عليه السلام ينبغي أن نُحي أمر إمامنا المهدي عليه السلام ويمكن تحقيق ذلك من خلال عقد مجالس علمية وحوارية واعية تتوفر على موضوعات عقدية وفكرية نافعة في مجتمعنا اليوم، والذي هو بأمس الحاجة إلى الجديد من إستيحاء القيم الأسلامية الأصيلة لا أن نبقى في هامش الدائرة القيمية لديننا ونسمح للجهال أن يكونوا في بؤرة الصورة.

ومن آثار إحياء أمرهم عليهم السلام ما ورد في الحديث عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: «من جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»، يعني يوم القيامة.

المصدر: موقع منتدى الكفيل

مقالة

زيارة الأربعين في أحاديث أهل البيت عليهم السلام والمصادر المعتبرة

محمد طاهر الصفار

الانتباه: الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

أولى الأئمة المعصومون عليهم السلام زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام عناية فائقة واهتمام خاص وحثوا شيعتهم على إداء هذه الشعيرة المقدسة والتأكيد عليها في كثير من الموارد، وقد وردت في ذلك كثير من الأحاديث والروايات عنهم عليهم السلام في فضل زيارة الحسين والثواب الجزيل الذي يصيبه زائره بزيارته.

من هذه الأحاديث ما رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام: (مُروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين فإن إتيانه مفترض على كل مؤمن يقرُّ للحسين بالإمامة من الله عزّ وجلّ)، وفي حديث آخر له عليه السلام أيضاً عندما سُئلَ: ما لزائر الحسين من الثواب؟ فقال عليه السلام: (يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر وتلقاه الملائكة بالبشارة ويقال له: لا تخف ولا تحزن هذا يومك الذي فيه فوزك). كما جاءت الروايات بأسانيدها الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام أن الله عوّض الحسين عن شهادته وتضحيته: (بأن كان الشفاء في تربته وجعل الأئمة من ذريته واستجابة الدعاء عند قبته)، و(أن الله ينظر إلى زوّار قبر الحسين عشية عرفة قبل أن ينظر إلى حجاج بيته الحرام) ذلك لأن الحسين حفظ حرمة البيت الحرام، وهذا ما أكده قوله عليه السلام لابن عباس عندما خرج من مكة المكرمة قبل أن يتم حجه: يا ابن عباس لو لم أخرج لهُتكت حرمة البيت. وجاء عن الإمام الباقر عليه السلام: (إن الحسين قتل مظلوماً فآلى الله أن لا يأتي قبر الحسين مظلوم إلّا تكفّل بردّ مظلمته، وأن الحسين قتل مهموماً حزيناً كئيباً فآلى الله أن لا يأتي قبر الحسين مهموم إلا فرّج عنه). إلى كثير وكثير من هذه الأحاديث المعتبرة فكانت الشيعة ولا تزال تقصد زيارة قبر الحسين عليه السلام من البلدان النائية والأقطار البعيدة فدأب الأئمة عليهم السلام على الدعاء للزائرين، فمن دعاء طويل للإمام الصادق عليه السلام في سجوده نقتطف منه هذا المقطع ليتبيّن لنا مدى الاهتمام الذي أولوه عليهم السلام بهذه الشعيرة والدعوة إليها, يقول عليه السلام: (اللهم اغفر لي ولإخواني وزوّار قبر الحسين الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبة في برّنا ورجاءً لما عندك في صلتنا وسروراً أدخلوه على نبيك).

وقد حرصت الشيعة منذ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام على جعل الصلة نابضة وحية ومستمرة بينهم وبين كربلاء، ويدلنا قول عقبة بن عمرو السهمي على أن قبر الحسين لم يزل منذ استشهاده مهوى القلوب وكعبة الوفّاد يقول عقبة:

مررتُ على قبرِ الحسينِ بكربلا
ففاض عليه من دموعي غزيرُها
وما زلتُ أبكيهِ وأرثي لشجوِهِ
ويسعدُ عيني دمعُها وزفيرُها
وبكّيتُ من بعد الحسينِ عصائباً
أطافتْ به من جانبيهِ قبورُها
إذا العينُ قرّت في الحياةِ وأنتمُ
تخافونَ في الدنيا فأظلمَ نورُها
سلامٌ على أهلِ القبورِ بكربلا
وقلّ لها منّي سلامٌ يزورُها
سلامٌ بآصالِ العشي وبالضحى
تؤدّيه نكباءُ الرياحِ وموُرها
ولا برحَ الوفّاد زوّار قبره
يفوحُ عليهم مسكُها وعبيرُها

وقد أجمع السيد محسن الأمين والطريحي وسبط بن الجوزي على أن هذه الأبيات هي أول ما قيل من الشعر في رثاء الحسين عليه السلام وعقبة هو من شعراء المائة الأولى من الهجرة ويدلنا البيت الأخير من شعره على أن قبر الحسين كان لا يخلو من الزائرين منذ الأيام الأولى لاستشهاده فكان التوابون يقيمون المآتم عند القبر يقول الجواهري في رائعته (آمنت بالحسين):

وطفتُ بقبرِكَ طوفَ الخيال
بصومعةِ الملهمِ المبدعِ
وخلتُ وقد طارتِ الذكريات
بروحي إلى عالمٍ أرفعِ
تلوذُ الدهورُ فمن سجدٍ
على جانبيهِ ومن ركّعِ

زيارة الأربعين

من أهم الزيارات المخصوصة التي أكد عليها أئمتنا الطاهرون لقبر الإمام الحسين هي (زيارة الأربعين) حيث وردت روايات كثيرة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام في خصوصية يوم الأربعين وفضل زيارة الحسين في ذلك اليوم فقد روى النوري عن زرارة بن أعين عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام إنه قال: (إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، والأرض بكت عليه أربعين صباحاً بالسواد، والشمس بكت عليه أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، والملائكة بكت عليه أربعين صباحاً وما

اختضبت امرأة منا ولا أدهنت ولا اكتحلت ولا رجّلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد وما زلنا في عبرة من بعده). كما روى ابن قولويه عن الامام محمد الباقر عليه السلام إنه قال: (إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً).

أما زيارة الامام الحسين يوم الأربعين فقد وردت كثير من الأحاديث عن الأئمة المعصومين عليهم السلام في فضلها منها ما رُوي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام والتي ذكرتها كثير من المصادر أنه قال: علامات المؤمن خمس: الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وصلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين).

أما الزيارة المشهورة في يوم الأربعين والمعروفة بـ (الأربعينية) فقد رُويت على روايتين الرواية الأولى رواها صفوان الجمال عن الإمام الصادق عليه السلام فقال: قال لي مولاي الصادق: تزور الحسين عند ارتفاع النهار وتقول.. ثم تلا الزيارة. أما الرواية الثانية: فقد رُويت عن عطا عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنت مع جابر يوم العشرين من صفر فلما وصلنا الغاضرية اغتسل في شريعتها ولبس قميصاً كان معه طاهراً ثم قال لي: أمعك شيء من الطيب يا عطا؟ قلت: سعد، فجعل منه على رأسه وسائر جسده ثم مشى حافياً حتى وقف عند رأس الحسين وكبّر ثلاثاً ثم خرَّ مغشيّاً عليه فلما أفاق سمعته يقول:.. ثم تلا الزيارة.

وقد ذكر الكثير من العلماء الأعلام فضل زيارة الحسين في يوم الأربعين وقد استدلوا في ذلك على روايات الأئمة المعصومين عليهم السلام منهم:

١. أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي بعد أن روى الأحاديث في فضل زيارته عليه السلام ذكر المقيّد منها بأوقات خاصة وذكر شهر صفر وما فيه من الحوادث ثم قال: وفي يوم العشرين منه رجوع حرم أبي عبد الله الحسين عليه السلام من الشام إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وورود جابر بن عبد الله الأنصاري إلى كربلاء لزيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام فكان أول من زاره من الناس وهي زيارة الأربعين ثم روى حديث الإمام الحسن العسكري عليه السلام كما روى ذلك أيضاً في كتابه (مصباح المتهجّد).

٢. ابو الريحان البيروني: في العشرين من صفر رُدّ الرأس الشريف إلى جثته فدفن معها وفيه زيارة الأربعين ومجيء حرمه بعد انصرافهم من الشام.

٣. العلامة الحلي: يستحب زيارة الحسين في العشرين من صفر ثم روى حديث الإمام العسكري عليه السلام.

٤. العلامة المجلسي. ٥. السيد ابن طاووس. ٦. الشيخ يوسف البحراني. ٧. الشيخ المفيد. ٨. العلامة الحلي. ٩. ملا محسن الفيض الكاشاني. ١٠. الشيخ البهائي. ١١. الشيخ عباس القمي.

وتأتي خصوصية زيارة (الأربعين) أيضاً في استذكار المآسي والآلام والفواجع التي جرت على سبايا أهل البيت عليهم السلام حيث تتزامن إقامة الشعائر الحسينية في يوم الأربعين مع ذكرى رجوع الرأس الشريف من الشام إلى العراق، ودفنه مع الجسد الطاهر في يوم العشرين من صفر كما جاء في الروايات، ويُسمى هذا اليوم في العراق ((مَرَد الراس)) فتقام الشعائر استذكاراً لهذه الحادثة الأليمة فتتجدَّد الأحزان. فقد تواترت الروايات على أن السبايا بعد أن أخرجوهم من الشام توجّهوا إلى كربلاء فوصلوها يوم العشرين من صفر، فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي، ومعه جماعة من الشيعة توافدوا لزيارة قبر الحسين، فالتقى ركب السبايا معهم وأقاموا البكاء والنحيب.

وقد نصّت على ذلك العديد من الكتب المعتبرة، فقد ذكرت الدكتورة بنت الشاطئ في وصف الرحلة من الشام إلى المدينة ما نصه: (قالت زينب عليها السلام للدليل مرة: (لو عرّجت بنا على كربلاء) فأجاب الدليل محزوناً: أفعل، ومضى بهم حتى أشرفوا على الساحة المشؤومة وكان قد مضى على المذبحة يومئذ أربعون يوماً، وما تزال الأرض ملطخة ببقع من دماء الشهداء وبقية من أشلاء غضّة عفا عنها وحش الفلاة، وناحت النوائح وأقمن هناك ثلاثة أيام لم تهدأ لهن لوعة ولم ترقأ لهن دمعة ثم أخذ الركب المنهك طريقه إلى مدينة الرسول).

وتقول الروايات أيضاً: إن يزيد أمر بردّ السبايا والأسارى من الشام إلى المدينة المنوّرة في الحجاز مصطحبين الرؤوس تحت إشراف جماعة من العرفاء يرأسهم النعمان بن بشير الأنصاري، فلما بلغ الركب أرض العراق في طريقه إلى مدينة الرسول قالت زينب للدليل: مُرّ بنا على طريق كربلاء ومضى بهم حتى أشرفوا على ساحة القتل المشؤومة وكان جابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي الجليل وجماعة من بني هاشم ورجال من آل الرسول قد وُردوا العراق لزيارة قبر الحسين، يقول السيد علي بن طاووس: (فتوافدوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد واجتمع عليهم أهل السواد وأقاموا على ذلك أياما). وكان جابر بن عبد الله الانصاري قد توجه من المدينة المنورة نحو أرض كربلاء بعد أن سمع بمقتل الإمام الحسين عليه السلام. وكان قد كفّ بصره. يقول عطية العوفي وكان مرافقاً لجابر: (عندما وصلنا إلى الغاضرية على شاطئ نهر الفرات اغتسل جابر في شريعتها ولبس أطهر ثيابه، ثم فتح صرّة فيها سعد. أي عطر. فنشرها على بدنه ثم لم يخط خطوة إلّا ذكر الله تعالى حتى إذا دنا من القبر قال: ألمسنيه يا عطية، فألمستُهُ إياه، فخرّ على القبر مغشياً عليه فرششت عليه من الماء فلما أفاق قال: يا حسين. ثلاثاً. ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه، ثم قال وأنّى لك بالجواب وقد شخبت أوداجك على أثباجك، وفُرِّق بين بدنك ورأسك، أشهد أنك ابن خير النبيين وابن سيد الوصيين وابن حليف التقوى وسليل الهدى وخامس أصحاب الكسا وابن سيد النقبا وابن فاطمة سيدة النسا.. الخ. إلى أن تقول الرواية: ثم أنهم رأوا غباراً من بعيد دلالة على قدوم أشخاص وكان من ناحية الشام فمضى عطية ليرى من هم القادمون من ناحية الشام فما أسرع أن رجع وهو يقول: يا جابر قُم واستقبل حرم رسول الله، هذا زين العابدين قد جاء بعمّاته وأخواته، فقام جابر حافي الأقدام مكشوف الرأس إلى أن دنا من الإمام زين العابدين عليه السلام فحدّثه الإمام بما جرى لهم من قتل وسبيّ وتشريد وكان مما قاله عليه السلام: (يا جابر هاهنا والله قُتلت رجالنا وذُبحت أطفالنا وسُبيت نساؤنا وحُرقت خيامنا). ومنذ ذلك اليوم وهو العشرين من صفر أصبح هذا التاريخ مشهوداً حيث تتوافد الملايين من الزائرين على كربلاء لزيارة الإمام الحسين وإقامة الشعائر وتجديد هذه الذكرى المؤلمة.

المصدر: موقع العتبة الحسينية المقدسة

مقالة

دور الشيخ المفيد في التأصيل لإطار علمي لفقه الشيعة

الانتباه: الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

قال رسول الله ﷺ: العلماء ورثة الأنبياء. هكذا وصف الإسلام العلماء، وهذه هي منزلتهم فالأنبياء والأئمة عليهم السلام وأمناؤهم هم فخر ومجد الأمة، والشيخ المفيد هو أحد أعلام هذه الأمة، ومن علمائها الأمجاد، هذه الشخصية العلمية التي شغلت العالم ولا تزال بحضورها وإنتاجها وإسهاماتها الفكرية والمعرفية الأصيلة، وتركت بصماتها على مجمل الفكر الإسلامي الأصيل، وشكّلت ظاهرة مميّزة تتطلب من الباحثين والمفكرين العمل على دراسة خصائصها والتعرف عليها، والإفادة من محطاتها الغنية على المستويات كافة، واستلهامها وتعريف الأجيال إلى هويتها وأصالتها، من هذا المنطلق وفي ذكرى وفاته نكتب هذه المقالة ؛ لنتعرف بها على هذا العالم الجليل.

ولادته ونشأته العلمية والفكرية

الشيخ المفيد من علماء الشيعة الإمامية الإثني عشرية، عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وأوائل القرن الخامس الهجري، إسمه الحقيقي هو محمّد بن محمد بن النعمان الحارثي العكبري البغدادي الشهير "بالمفيد"، وهو حفيد التابعي الشهيد سعيد بن جبير المقتول بسيف الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي. وأمّا لقبه فالمعروف عند المترجمين له أنّ هذا اللقب هو من أستاذه المفسر والمتكلم المعتزلي علي بن عيسى الرماني، أمّا ابن شهر آشوب فيقول في كتابيه "معالم العلماء" و"مناقب آل أبي طالب" إلى أنّ لقب "المفيد" مُنح للشيخ من قِبَل الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

عاصر الشيخ المفيد عدداً من الخلفاء العباسيين منهم المطيع لله (الفضل بن المقتدر) للمدة التي كان بها الخليفة (٣٣٤هـ. ٣٦٣هـ) وكذلك عاصر عدداً من البويهيين وكان في مقدمتهم عضد الدولة الذي كان يجلّه كثيراً، كانت الحياة الفكرية في بغداد في عصره مزدهرة كثيراً وامتازت بالخصب العلمي والأدبي، وممّا ساعد على اتساع الحركة العلمية في بغداد حين كانت مركزاً للعالم الإسلامي وحاضرته العلمية والسياسية فكانت الرحلة تُشد إليها من كل مكان، فنشأت المدارس ودور العلم، وهذا ما حدا بوالد الشيخ المفيد إلى أن يترك بلدته الصغيرة القريبة من بغداد "عكبرا" ويقصد مع ولده بغداد ليبدأ هناك رحلته العلمية وتلقي مختلف المعارف وفنون العلم على يد كبار العلماء هناك، وكان من جملتهم المتكلم والفقيه والأصولي والمحدث واللغوي والأديب وكان هؤلاء لا يقتصرون على طائفة واحدة فمنهم الإمامي والمعتزلي البصري والبغدادي، وغير ذلك من التوجهات المعرفية التي نهل منها والتي أعانته على بناء شخصيته العلمية الموسوعية والمتنوعة، فأعطاه ذلك قدرة على محاججة الخصوم والموازنة والمحاكمة بين الآراء والأفكار وفق ميزان النص والعقل وبالتالي تصويب الأفكار الخاطئة باتجاه المسار الصحيح بغية التخفيف من حدة الانقسام بين مذاهب وفرق المسلمين، وهذه الصفة التي اتسم بها الشيخ المفيد في خضم المنازعات والمشاحنات والمخاصمات التي كانت سائدة في زمنه ساعدت على الكشف عن الكثير من الآراء والمفاهيم الباطلة وهذا مما ساعد على تضييق مساحة الخلاف والتباعد بين الفرق والتيارات والمذاهب.

معروف بالعبادة والمثابرة والزهد

فضلاً عن سموّ المقام العلميّ للشيخ المفيد، كان رجلاً معروفاً بالتقوى والطاعة لله تبارك وتعالى، وبالعبادة والمثابرة والزهد. وما يُذكر عن أخلاق الشيخ المفيد، فإنه كان كثير الصدقة، ومتواضعاً، فضلاً عن كثرة صلاته وصومه، كما كان يرتدي اللباس الخشن؛ لدرجة أنه أُطلق عليه لقب شيخ مشايخ الصوفية كتعبير عن زهده بالدنيا، وقد ذكر صهره "أبو يعلى الجعفري"، أنّه كان قليل النوم في الليل ويقضي معظم وقته في المطالعة والتدريس والصلاة وتلاوة القرآن.

صلته بالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

إنّ الشيخ المفيد كان حليفاً للتوفيق والنجاح، أهلاً للتأييد والتسديد واللطف الخفي ؛ لذلك نجد أنّ الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف قد اهتم به، ووصفه بأوصاف جميلة، فقد خاطبه بالأخ السديد، والولي الرشيد، الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان أدام الله إعزازه، كما أنّه عليه السلام بعث بعدة رسائل إلى ثقة الإسلام الشيخ المفيد، ذكر رسالتين منها الشيخ الطبرسي، وقد ذيلتا بتوقيعه الشريف، حوت الرسالتان أموراً بالغة الأهمية، وهي: الإشادة بالشيخ المفيد الذي هو أحد دعائم الإسلام في علمه وفضله وتقواه وشدة تحرجه في الدين وأنه قد سمح له في مكاتبة الإمام عليه السلام والاتصال به وتحمله شرف السفارة بينه وبين الشيعة. كذلك إنّ الإمام عليه السلام قد أشار إلى المكان الذي يقيم به في حال غيبته وأنّه بعيد عن مساكن الظالمين وأن إقامته فيه محجوب عن أعين الناس يستند بذلك إلى إرادة الله تعالى ومشيئته التي قضت بعدم ظهوره ما دامت دولة للفاسقين والظالمين على وجه الأرض، كما أنه يتتبع بكل دقة جميع شؤون شيعته ولا يعزب عنه أي أمر من أمورهم فهو ساهر على رعايتهم ودفع البلاء عنهم ولولا عنايته بهم لأخذهم الظالمون من كل جانب ومكان، كما أمرهم بتقوى الله تعالى والاجتناب عن معاصيه وإخراج ما عليهم من الحقوق الشرعية ولو أنهم اتقوا وأطاعوا الله تعالى إطاعة حقيقية لما حُجب الإمام عنهم ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدته ولكن ذنوبهم هي التي حالت بينهم وبين الالتقاء بإمامهم، كما أخبرهم عن فتنة وكارثة مدمرة تحل بهم يهلك فيها الكثيرون، وقد أخبر عن بعض الملاحم ستظهر وتتحقق قبل ظهوره عليه السلام من حدوث آية في السماء وغير ذلك.

مكانته وسيرته العلمية

لقد حاز الشيخ المفيد مكانةً علمية جليلة وأحرز التفاف العلماء والمثقفين إليه في بغداد ومن غيرها من البلدان، وقصده السائلون يستجوبونه، وجلس إليه طلاب العلوم الدينية ينهلون العلوم والمعارف وتعلم أساليب الجدل والمناقشة والحوار العلمي الهادف للوصول إلى الحقائق العلمية بأسلوبٍ رصين. فعُد موسوعة زمانه في علوم الشريعة وغيرها، فكانت أفكاره تتفتح كتباً موسعة ورسائل موجزة في مختلف علوم الدين ومناظرات علمية وفكرية بقيت ليومنا هذا دروساً ومساراً وشعاعاً يستنار في فهم الحقائق مقرونة بأدلةٍ وثوابت رصينة.

أمّا عن مؤلفاته فقد ذكر الشيخ الطوسي وهو من تلامذته البارزين بأنّ مؤلفاته ناهزت المائتي مصنف، وقد عُرف بتصانيفه الغزيرة الّتي انتشرت بين الناس، وذاعت بينهم، فكان يُعرف بـ"صاحب التصانيف الكثيرة". وقد تتلمذ المفيد عند أكبر العلماء والفقهاء في حينها كالشيخ الصدوق وابن الجنيد الإسكافي وابن قولويه والرماني من أبرز أساتذته. في حين تتلمذ تحت يده كبار الفقهاء بعده كالشيخ الطوسي والسيد المرتضى والسيد الرضي والكراجكي والنجاشي.

تراثه الكلاميّ والفلسفيّ

اتسمت مؤلّفات الشيخ المفيد بالشموليّة والاستيعاب لكثيرٍ من العلوم الشائعة آنذاك، إلّا أنّ السمة الغالبة فيها التركيز على علمي الفقه والكلام بوصفهما ركنين مهمّين في التكوين المذهبيّ لأيّ مذهبٍ.

فنجده في كتب علم الكلام يعالج موضوعاته المختصة بالدفاع عن العقيدة وتوضيح الأصول والقواعد العامة للدين الإسلامي وبيان التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد وما يتصل بها من المسائل الاعتقادية، وغيرها بأسلوبٍ سهل بعيد عن الغموض والإبهام بالاعتماد على أسلوبٍ بليغ ورصين قائم على وضوح العبارة وسهولتها ومناقشة الآراء بأسلوبٍ صريح وهادئ مستنداً على الأدلة العقلية.

يقول الشيخ عبد الله نعمة عن الشيخ المفيد في كتابه فلاسفة الشيعة حياتهم وأراؤهم: "ترك المفيد مؤلّفاتٍ متنوّعةً وفي شتّى المواضيع، كانت طبيعة عصره بحاجةٍ ملحّةٍ إليها، وأكثرها في العقائد والردود أو النقوض الّتي كانت صدًى لروح العصر الّذي عاشه، وانعكاسًا واضحًا لطبيعة تلك الحقبة الصاخبة بالجدل الدينيّ والمناظرات المذهبيّة، ويمثّل أبرز ثورةٍ عقديّةٍ عرفها المسلمون يوم كانت بغداد مسرحًا رحبًا لعقائد وآراءٍ ونزعاتٍ ومذاهب في مختلف أشكالها وألوانها، وهي في نقاشٍ وجدلٍ مستمرّين يحتضن كلّ ذلك حرّيّةٌ واسعةٌ تتّسع حتّى للملحدين والزنادقة".

ثمّ يضيف قائلًا: "وكان على المفيد وهو زعيم الشيعة الإماميّة العلميّ والفكريّ أن ينبري لمصارعة زعماء تلك المذاهب والنزعات بما وهبه الله من طاقةٍ علميّةٍ حيّةٍ، وفكرٍ واعٍ رحبٍ، ومن هنا كانت مؤلّفاته على الأكثر ذات طابعٍ متميّزٍ عن مؤلّفات سواه، يظهر عليها روح الجدل والمناظرة، أو روح الدفاع العَقَديّ أو التقرير".

أمّا فقهياً لقد ترك الشيخ المفيد تراثاً فقهياً ثرياً استطاع عبره أنّ يرسم المعالم الواضحة لفقه أهل البيت عليهم السلام، وذلك عبر المنهج الإستدلالي الذي سار عليه فأخرج الفقه من دائرة الوقوف على النصوص والافتاء طبقاً لمتن الرواية كما كان عليه الحال مع الشيخ الصدوق والمدرسة القمية، واجتنب بالتالي الوقوع في القياس والاستحسان والرأي والأدلة غير المعتبرة التي وقع فيها إبن الجنيد، يقول الإمام الخامنئي دام ظله حول فقاهة المفيد وأثرها الكبير على الفقه الإمامي بعده: "إنّ الشيخ هو الشخص الذي استطاع أن يوجد الإطار العلمي المقبول والمعتبر لدى الشيعة بحيث جمع المواد المأثورة والأصول المتلقاة في نظام علمي ظل لابثاً في حوزة الفقاهة الشيعية. وما أنجزه الشيخ هو نفسه مسار التقنين الفقهي الذي اتبع من بعده طوال قرون حتى اليوم، ليصل بالفقه إلى ما هو عليه الآن من نضجٍ وتكامل".

وفاة الشيخ المفيد

لقد كان يومًا مشهودًا ومدهشًا ذلك اليوم الّذي رحل فيه الشيخ المفيد في سنة ٤١٣ هـ. فقد خرجت بغداد بثمانين ألف مشيّعٍ ومودّعٍ في يومٍ مشهودٍ كيوم الحشر كما يصفه بعض من حضره، حضر الجميع لوداعه من كلّ المسلمين والفرق الإسلاميّة، حتّى ضاقت بهم أكبر ساحات بغداد في (ميدان الأشنان)، ولم يُرَ يومٌ أكبر منه لشدّة زحام الناس للصلاة عليه، وقد صلّى عليه تلميذه وخليفته الشريف المرتضى، ودُفن في داره بضعة سنواتٍ، ثمّ نُقل إلى مقابر قريشٍ ليدفن بالقرب من ضريحي الإمامين الكاظميّن عليهما السلام .

المصدر: الوفاق

تقرير

قصة أقدم وأول صورة سجلت في التاريخ من كربلاء المقدسة

إن آخر الأبحاث التي أجرتها مجموعة "بهشت بقيع" قد توصلت إلى نتائج مهمة فيما يتعلق بأقدم وأول صورة مسجلة في تاريخ كربلاء المقدسة وضريح سيد الشهداء عليه السلام وضريح العباس بن علي عليه السلام. وهذا المقال القصير هو تلخيص لهذا البحث الذي تمت دراسته منذ زمن طويل.

الكولوديون اسم طريقة تصوير قديمة أصبحت شائعة في إيران منذ عام ١٢٢٩م تقريباً، وفي هذه الطريقة يتم تحضير صور عالية الجودة باستخدام زجاجات مملوءة من محلول الكولوديون، وهذه المادة الكيميائية حساسة للضوء وفي ذلك الوقت، لقد كانت أفضل طريقة للتصوير الفوتوغرافي، والتي بالطبع كانت تواجه بعض المشاكل، وبعد ذلك تم استبدالها بالزجاج الجاف أو الكولوديون الجاف وكانت هذه الطريقة للتصوير تواجه مشاكل أقل بكثير. ولا تزال هذه الطريقة في التصوير الفوتوغرافي تمارس بشكلها الفني وهي طريقة لا تنسى.

وفي معظم فترة حكم ناصر الدين شاه قاجار تقريباً، كانت طريقة الكولوديون طريقة واسعة الانتشار في التصوير الفوتوغرافي، وكان شاه قاجار نفسه مولعاً بالتصوير الفوتوغرافي ولعب دوراً مهماً في تطوير هذا الفن.

في الفترة الاخيرة عرضت في الفضاء الافتراضي صورة مرقد الامام الحسين عليه السلام باعتبارها أقدم صورة، وقدمت تفسيرات مختلفة حولها، منها على سبيل المثال أن هذه الصورة التقطت بعد هجوم الوهابية التكفيرية على كربلاء المقدسة والمقام لم يتم ترميمه بعد، هناك تفسيرات غير متخصصة في حين أن المؤلف في الأساس لا يهتم بتاريخ فن التصوير الفوتوغرافي ولا يعلم أنه في ذلك الوقت لم يتم اختراع شيء يسمى الكاميرا. أين الضريح بهذه المواصفات؟ الجواب واضح، هذا مرقد حر بن يزيد الرياحي المعروف بأنه أول شهيد من شهداء كربلاء المقدسة.

لكن فيما يتعلق بفحص أول صورة مسجلة لمدينة كربلاء وضريح السيد الشهداء عليه السلام، فلا بد من الرجوع إلى الأرشيف الكبير من الصور التاريخية، ومعظمها إما مستحيل أو صعب للغاية للوصول.

واحدة من أقدم الصور المسجلة لكربلاء التقطتها السيدة جيرترود بيل. جيرترود هي عالمة آثار ومستكشفة وباحثة وجاسوسة إنجليزية، التقطت هذه الصورة أثناء إقامتها في العراق عام ١٢٨٨. في معظم المصادر المسجلة، يتم تقديم هذه الصورة وسلسلة الصور الأخرى باعتبارها واحدة من أقدم الصور وأكثرها تاريخية للعراق وكربلاء. فيما سيذكر لاحقاً أن الأمر ليس كذلك وأن الصورة الأولى التقطتها مصور إيراني.

صورة جيرترود التي التقطتها من ضريح الامام الحسين عليه السلام

صورة جيرترود بيل عمرها ١١٤ سنة، ولكن قبل حوالي أربع سنوات من وجود جيرترود في كربلاء، سافر أبو القاسم ابن محمد تقي نوري المصور الحصري لمظفر الدين شاه إلى العتبة المقدسة بأمر الشاه والتقط صورا فريدة أعدها عام ١٢٨٤. التقط نوري صورة من أمام باب القبلة وهي جميلة جدا وتثير الإعجاب وفي هذه الصورة الدفعة الثالثة من زهور الحسيني لا تزال قائمة في باحة الضريح.

تم تدمير باقة الزهور هذه والتي كانت تعرف بمئذنة العبد عام ١٣١٤ بأمر من ياسين الهاشمي رئيس وزراء العراق آنذاك، وتعددت أسباب التدمير، ولم يتم حتى الآن إجراء أي بحث مستقل في هذا الصدد، لكن كسب المال والقضايا المالية والحصول على الكنوز المدفونة خلف هذه المئذنة أمر لافت للنظر.

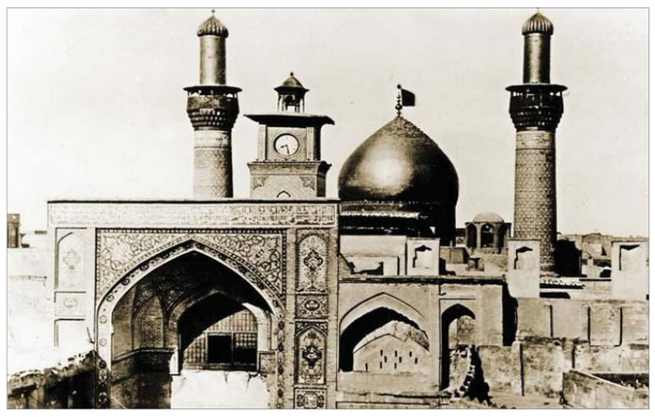

صورة ابوالقاسم نوري من مرقد الامام الحسين عليه السلام

لكن قبل حضور أبو القاسم نوري إلى كربلاء المقدسة، كان سيد رضا المصور المعروف بإقبال السلطنة، يرافق ناصر الدين شاه في رحلته إلى العتبات المقدسة في عام ١٢٤٩م، وقد رافق الملك حوالي ٢٠٠ من رجال الدولة الذين قد سافروا إلى كربلاء والمدن الأخرى وإلى الأماكن المقدسة وخلال هذه الرحلة التقط سيد رضا، مصور الملك العديد من الصور الجميلة. هذه الصورة هي صورة التقطها سيد رضا من مرقد السيد الشهداء عليه السلام قبل ١٥٣ سنة.

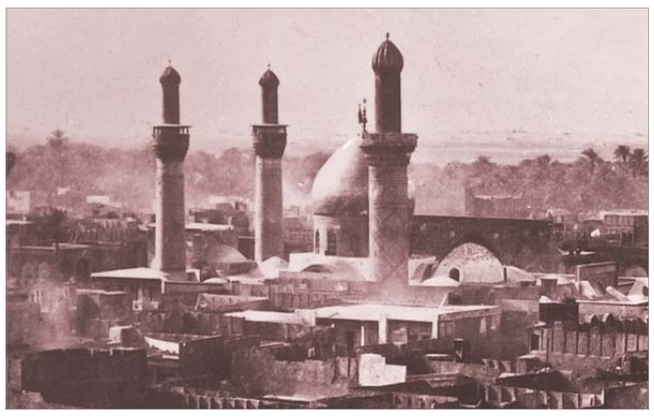

عباسعلي بك أحد طلاب سيد رضا الذي أسس فيما بعد اول دار عامة للتصوير.

صورة سيد رضا المصور من مرقد الامام الحسين عليه السلام

لكن يمكن الافتراض أن هذه الصورة هي أقدم صورة للضريح، لكن الأمر ليس كذلك، فقبل حوالي عام من هذه الرحلة، ذهب ناصر الدين شاه إلى سيد رضا للتخطيط لرحلته الى كربلاء المقدسة وفهم الطريق والاماكن المختلفة بشكل أفضل. لذلك أمر سيد رضا المصور أحد طلابه بالسفر إلى العتبات المقدسة والتقاط الصور على طول مسير رحلتهم والاماكن المختلفة وفي النهاية تقديم هذه الصور إلى الملك على شكل ألبوم.

وهكذا وقعت القرعة على اسم عباسعلي بك، كان

صورة التقطها عباسعلي بيك من مرقد الامام الحسين عليه السلام

ذهب عباسعلي بك إلى كربلاء في عام ١٢٤٨ والتقط هذه الصورة الجميلة. هذه الصورة هي أقدم وأشهر صورة مسجلة لمرقد أبي عبدالله الحسين عليه السلام التقطها أحد الإيرانيين. وقد وضع عباس علي بك مرقد العباس بن علي عليه السلام بجانب مرقد السيد الشهداء عليه السلام، وهذا يعتبر أول كولوديون لكربلاء المقدسة.

المصدر: وكالة مهر للأنباء

الآفاق
• السنة الأولي
• العدد ٣٥
• الأثنين ٢٥ صفر المظفر ١٤٤٥ هـ.ق
• ٨ صفحات
Ofogh-e Hawzah Weekly
• متعلق بمركز إدارة الحوزات العلمية
• المشرف: رضا رستمى
• مدير التحرير: علي رضا مكتب دار بمساعدة الهيئة التحريرية
• هاتف: ٣٢٩٠٠٥٣٨ ٢٥ ٩٨+ • فاكس: ٣٢٩٠١٥٢٣ ٢٥ ٩٨+
• ص. ب: ٣٧١٨٥/٤٣٨١
• العنوان: قم، شارع جمهوري، زقاق ٢، رقم ١٥
• الموقع: www.ofoghhawzah.ir
• البريد الالكتروني: info@ofoghhawzah.ir
• تصميم: السيد امير سجادي • مسئول الطبع: مصطفى اويسى
• طباعة: صميم ٤٤٥٣٣٧٢٥ ٢١ ٩٨+

شعر وقصيدة

قلبي مع العشاق يمشي

مرتضى الشراري العاملي

قلبي مع العشاقِ يمشي ليتني
جسمي يصيرُ إلى إمامي ماشيا
أسعى ويغبطُني الطريقُ وإنه
لو يستطيعُ غدا كذلك ساعيا
وتعانقُ الغاباتُ نغمةَ مِشيتي
متمنّياتٍ أنْ يكنَّ وَرائيا
وإذا مررتُ على الجبالِ رأيتُها
تُغضي خشوعًا عارفاتٍ حالِيا
ولَوِ استطاعتْ أنْ تسيرَ لأسرعتْ
تبغي لدى طوْدِ الشموخِ مَعاليا
وإذا شِمالي في المسيرِ تقدّمتْ
رغبتْ يميني أنْ تكونَ شِماليا
أبكي وأدعو في الطريقِ وإنَّني
يروي بُكائي للحسينِ رَجائيا
والأرضُ إذْ حضَنتْ خُطايَ فإنَّها
تزهو تُفاخرُ بالحسين سَمائيا
وتصيرُ ذرّاتُ الرمالِ بعشقِهِ
درًا نفيسًا أو عقيقًا غاليا
هذا الحسينُ يحوِّلُ الفاني إلى
أفُقِ الخلودِ فليس يبقى فانيا
وإذا سعى دانٍ إليهِ فإنّه
يرقى ويرجعُ كالثُّرَيا عاليا
يحنو على الماشين ينثرُ نورَهُ
مَن كالحسينِ على ضيوفِه حانيا؟!
وتراه يشتي رحمةً وكرامةً
ليس السحابُ كما حسينٍ شاتيا
أحفو بسُؤْلي للإلهِ يعينُني
أنْ أمشيَنَّ إلى إمامي حافيا
طوبى لمَن زارَ الحسينَ ومَن نوى
ولَسوفَ يندمُ مَن غدا لهُ جافيا
الدمعُ يروي وجنتي لكنّني
أمسيتُ للمشيِ المقدّسِ ظاميا
جسدي به سُقْمٌ عتيقٌ دكّه
أدعو ليعطيَني الحسينُ دوائيا
والضيقُ ينخرُ عيشتي ويَشلُّها
أرجو من المولى يرمّمُ ما بِيا
الروحُ تمشي واليقينُ ولهفتي
وقصائدي تمشي تقلُّ ولائيا
ماضٍ جرى، هو حاضرٌ متوهّجٌ
ويدومُ إذْ ما عادَ فينا ماضيا

▫ الحوار مع سماحة المحقّق الشيخ رسول جعفريان

الشعائر الحسينية النشأة والتطوّر

استثمرت مجلّة الإصلاح الحسيني فرصة الحوار مع سماحة المحقّق الشيخ رسول جعفريان ﷾؛ وذلك إيماناً منها بضرورة عرض النتاج الفكري للمحقّقين والباحثين المتخصّصين، مع مراعاة أُصول البحث العلمي والحوار الهادئ الرصين؛ للوصول إلى الحقيقة بكل حرفية وعقلانية، فكان لنا معه هذا الحوار.

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد ﷺ وآله الطيّبين الطاهرين ﷺ. أنا أيضاً بدوري أُرحّب بكم وأشكر لكم اهتمامكم المتواصل بالمحقّقين في مجال التاريخ عموماً، والنهضة الحسينية بشكل خاص.

▪ سماحة الشيخ، ما هي البذرة الأُولى التي نشأت من خلالها الشعائر الحسينية؟

امتازت واقعة عاشوراء بخصوصيتين كانتا سبباً في تبلور عنوان (الشعائر الحسينية):

الخصوصية الأُولى: الصبغة القدسية، تلك الصبغة التي نلحظها في الروايات الكثيرة، وبأساليب مختلفة، وردت في النصوص الحديثية والتاريخية القديمة عند الفريقين، ودلّت على أن عاشوراء ليست أمراً تاريخياً طبيعياً، بل إن فيها صبغة سماوية، وهذه المسألة لها دور مهم في إعطاء حادثة عاشوراء القابلية والأرضية المناسبة لإيجاد الشعائر الحسينية؛ ومن هنا يمكننا أن نشبّه عاشوراء بحادثة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بجنبتها القدسية، بقطع النظر عن الجنبة التاريخية؛ ولهذا تحوّلت إلى نموذج يتمتع بقابلية التكرار في الدين الإسلامي.

الخصوصية الثانية: هي قابلية عاشوراء واشتمالها على الأرضية المناسبة لظهور الشعائر الحسينية، والمقصود بذلك: أن العناصر الداخلية لهذه الحادثة تجعلها متميزة ومدهشة وعظيمة ومشتملة على مبادئ عالية؛ فإن دوافع عاشوراء وأهدافها، ونوعية الأحداث والوقائع التي حدثت فيها، ومكانة الشخصيات ودورها في عاشوراء، وكثيراً من الخطب والكلمات؛ كل ذلك أعطى هذه الحادثة قابلية التحوّل إلى ظاهرة مميزة، يمكنها أن تثمر الشعائر الحسينية.

إذاً؛ هاتان الخصوصيتان قد هيّأتا الأرضية المناسبة لنشوء الشعائر الحسينية، الشعائر التي كانت وظيفتها إيجاد الربط بين الناس وهذا الحدث.

▪ هل هناك ممارسات فردية عفوية بدأت من خلالها الشعائر الحسينية، أو أنها بدأت من خلال ممارسات واعية وهادفة؟ وبعبارة أُخرى: ما هو الطابع الذي اصطبغت به الشعائر عند نشوئها، هل هو الطابع، (الفردي أو الاجتماعي)، (النخبوي أو العامي) (العقدي أو الفقهي)؟ وكيف؟

أتصور أن هذه المسألة فيها جنبة دينية ومذهبية، ومَن كان لديه مشاركة في هذا الأمر بدأ نشاطه في إطار عقيدته الدينية والمذهبية، ولولا هذا البُعد الديني والمذهبي في عاشوراء لم يكن من المتوقع أن يحدث هذا التطور في تكوين واتساع الشعائر الحسينية في مجتمع يتمتع بهذه الخصوصيات، وبعبارة أُخرى: إن ظاهرة تكوين الشعائر واتساعها لها تفسيرٌ مذهبي تمثّل بالتيار الديني الأصيل ذي الصبغة القدسية، وكان هذا التيار موجوداً ومعروفاً بين أصحاب رسول الله ﷺ وعدة من التابعين الذين يؤمنون بضرورة اتّباع أهل البيت ﷺ. هذا الاتجاه يحمل نظرة خاصة لأهل البيت ﷺ، مبنية على أساس آية التطهير والنصوص القطعية الثابتة عن رسول الله ﷺ الواردة في حقّهم ﷺ، فهُم النواة الأساسية في تفسير الدين، وإن سلوكهم وأعمالهم مبنية على العصمة، لا كما يقوم به بقية الناس، وحينما وقعت حادثة الطف. باعتبارها حدثاً مميزاً عن سائر الأحداث في مذهب أهل البيت ﷺ. أوجدت الأرضية المناسبة لأن تكون أمراً ممهداً للشعائر الحسينية؛ باعتبارها حدثاً مهماً ومؤلماً ومؤسفاً من جهة، وحدثاً هادفاً وتوجيهياً في التفسير المذهبي لتاريخ صدر الإسلام من جهة أُخرى. وهذه النظرة المذهبية بالنسبة إلى تحليل سير تطور الأحداث في صدر الإسلام، وكذلك دور أهل البيت ﷺ في التأكيد والدفاع عن ذلك؛ هيّأت الأرضية لبروز عاشوراء، ونشوء الشعائر الحسينية. ومن الممكن وجود بعض العناصر والمكونات الأُخرى الفردية والاجتماعية في داخل المجتمع الشيعي، إلّا أن الذي تكفّل بإدارة هذه العملية هي الصبغة المذهبية والقدسية في المجتمع الشيعي، وهناك روايات كثيرة في كتاب (كامل الزيارات) يمكنها أن تُبرز لنا جانب التعاضد بين المعتقدات الشيعية في تفسير التاريخ بعد رحيل الرسول ﷺ من جهة، وبين الدور الإرشادي للأئمة ﷺ في إيجاد الشعائر الحسينية في داخل المجتمع الشيعي من جهة أُخرى.

▪ سماحة الشيخ، ما هي الجوانب الثابتة والجوانب المتبدلة (المتطوّرة) في الشعائر الحسينية؟ وكيف تتماشى ثوابت الشعائر مع التطور؟

يمكن ـ لأجل التشبيه ـ أن نستخدم اصطلاح: الثابت والمتغير في الشعائر، أو الأصلي والفرعي، أو المنصوص والمفهوم.

يمكننا أن نقسم الشعائر إلى قسمين:

الأوّل: الشعائر المنصوصة: وهي الشعائر التي تم تأكيدها في الروايات التي وصل بعضها إلى حدّ التواتر، وبعضها الآخر وصل إلينا بخبر الواحد، إلاّ أنها مروية بسند صحيح، وبعضها يحث بشكل خاص على إقامة شعائر معينة، وبعضها يؤكد إحياء أمر أهل البيت ﷺ بشكل عام، ولدينا نماذج من ذلك في كتب الزيارة، هذه النماذج لا بدّ أن تعرف بأنها مسائل منصوص ومجمع عليها عند المجتمع الشيعي.

الثاني: الشعائر المستنبطة: وهي الشعائر التي تخضع للاستنباط، بمعنى أنها ينبغي أن تكون مبنية على أساس ما يُفهم من النصوص التي تُوجد لنا نموذجاً خاصاً من الشعائر الحسينية.

وهناك عدة مسائل لها دور في هذا القسم:

الأُولى: الإبداع الذي يتمتع به أصحاب هذا المذهب.

الثانية: تأثير العادات والتقاليد في مسألة الشعائر؛ مما يزيد من درجاتها شِدّة وضعفاً، فإن بعض الشعائر لها ارتباط بمظاهر الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد التي يتصف بها أهل أي منطقة؛ نظراً للخلفيات الثقافية التي ألفها ذلك المجتمع. فهذه الأُمور أثّرت أثرها بشكل تدريجي، لا سيّما في الجانب الشكلي والصوري للشعائر، والنموذج الواضح لهذه الأُمور ما نراه في الهند، فنجد أن بعض نماذج الشعائر الحسينية ـ غير المنصوصة ـ لها جذور في حياة الهنود الاجتماعية، وتعدُّ جزءاً من عاداتهم وتقاليدهم.

وهنا ينبغي الالتفات إلى ملاحظة، وهي أنّ المسألة قد تكون أحياناً غامضة إلى حدٍّ يوجب تدخّل رؤساء القوم وعلماء الدين، بناءً على فهمهم الصحيح لدينهم ومذهبهم وشعائرهم، فيقومون بالدور الرقابي، ولا يسمحون بتوسع ذلك الأُسلوب في الشعيرة.

▪ سماحة الشيخ، ما هي برأيكم الأُسس الصحيحة لتطوير الجانب المتغيّر في الشعائر، أي: الخاضع للاستنباط؟ وما هي أهمية الربط التاريخي لتلك الشعائر بوقتنا الحاضر؟

من الملاحظات المسلّمة أنه لا يمكن السماح لوضع قضية الشعائر بيد مَن ليس لديه معرفة كافية بالدين والمذهب، ويجب أن تدخل عاشوراء وشعائرها في إطار أهداف الدين والمذهب، ولا ينبغي أبداً أن تختلف وتتعارض مع أُسس الدين والمذهب، ويتحتم علينا الاعتماد على الجانب المعرفي أكثر من غيره، واجتناب الأعمال الخارجة عن دائرة المعرفة الصحيحة للدين، ومن الطبيعي في هذا المجال أن يكون المعيار هو رأي العلماء ومراجع الدين، وإذا كان هناك أمر خارج عن نطاقهم، أو ترددوا فيه، أو أنكروه، فلا ريب في وجوب تركه.

إنّنا نجد في بعض البلدان أو المناطق ـ على سبيل المثال ـ شيوع قسم من الشعائر المتغيرة بين عوام الناس، مع أنّه ليس لها مبّرر عقلي ولا منطقي، وقد توجهت لنا نتيجة لذلك أصابع النقد.

وبقطع النظر عن هذا الأمر، يجب أن تكون لدينا معلومات دقيقة وعلمية بشأن حقيقة بعض الشعائر، وأُسسها التاريخية، والتطورات التي مرّت بها؛ لأن الحركة التاريخية لبعض النماذج قد يكون لها أثرٌ في دراسة حقيقتها. وبعبارة أُخرى: نحن بحاجة أن نعرف بدقة تاريخ هذه الشعائر والمظاهر المتعلقة بها؛ حتّى نتمكن من الحكم عليها بشكل أفضل، وهذا العمل يجب أن يتصدى له المحقّقون في هذا المجال.

والملاحظة المهمّة الأُخرى: هناك إصرارٌ شديد من قِبَل بعض العوام على إدخال بعض السلوكيات والعادات المناطقية الخاصة بهم، والمحبذة لديهم في الشعائر. ومن الطبيعي إذا ما أُوكل أمر الشعائر إلى عامة الناس فسنلاحظ إضافة بعض النماذج إليها من قِبَلهم بكل سهولة، فإن لم تبرز الاعتراضات على ذلك من قِبَل المختصين، فسيخرج الأمر حينئذٍ عن السيطرة، وتفلت الأُمور من زمامها؛ وهذا قد يقلل من التأثير المباشر للعلماء في إدارة وترشيد بعض الشعائر الحسينية.

إن دراسة موضوع الشعائر في الماضي، وما برز منها في الأزمنة المتأخّرة ومناقشتها، يضعنا في موقف منطقي. وبالطبع هذا لا يختص بالشعائر الحسينية فحسب، بل له مصاديق في الشعائر الأُخرى أيضاً، فبيان حدود هذه المسألة يعطي المراجع والنُّخب القدرة على العمل بمهامهم تجاه الشعائر بنحو أكثر إتقاناً وحكمة، وتنبيه الناس إلى ضرورة الالتفات ومراقبة السلوكيات والتصرفات الإفراطية، والأعمال غير المتعارفة وغير المعقولة في هذا الميدان.

يمكننا بنظرة فاحصة أن نحدّد المجتمع بثلاث طبقات: علماء الدين، وعامة الناس، والوجهاء من الناس، وإلى جانبهم الشخصيات المرموقة التي تمتلك مكانة خاصة في هذا المجال، والذين يعتمدون على مهاراتهم كالشعراء، وأهل الرثاء، ومديري مراسم العزاء، والداعمين له.. كل أُولئك يشكلون جبهة واحدة أكسبتهم القدرة والسلطة التي تمكّنهم من إضافة بعض الشعائر وتعميقها. وفي قبال هؤلاء علماء الدين الذين يعتمدون على مكانتهم الدينية التي حباهم الله تعالى إياها بفضل علمهم ومرجعيتهم.

▪ كيف كان تأثير القضايا الإسلامية الكبرى في الشعائر، سواء السياسية منها أم الاجتماعية أم الاقتصادية؟ وما مدى حضورها فيها؟ بمعنى: هل كانت الشعائر حسينية بحتة أو أنها متحركة في حياة الشيعة وتُعنى بقضاياهم؟

إنّ المكانة التي تشغلها واقعة عاشوراء في الثقافة الشيعية تقتضي ـ بشكل طبيعي ـ تعاطياً مستمراً معها، وتفاعلاً ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وأخلاقياً متنوعاً، فعاشوراء تحوّلت إلى أُسوة للمجتمع الشيعي، غالبية الشيعة يوجِدون علاقة إيجابية بين أعمالهم وبين ما جرى يوم عاشوراء على الإمام الحسين وأهل بيته ﷺ؛ وينتج من هذه المقارنة بعض الأحكام ذات التأثير المستمر في معنويات وتصرفات الشيعة، وفي هذه الحال تصبح الشعائر واسطة بين أصل حادثة عاشوراء وبين حياة الفرد الشيعي.

وبعبارة أُخرى: إن دروس عاشوراء وعِبَرها ومعطياتها قد ظهرت في الشعائر، فإلقاء نظرة على تاريخ الشيعة بإمكانه أن يُبيّن لنا نطاق هذا التعامل والتعاطي، ومشاهدة دور عاشوراء وشعائرها في الحياة اليومية للشيعة، فهي تُنتج المبادئ والقيم بشكل أساسي وتضعها بين يدي الناس، من قبيل: الحرية ومكافحة الفساد، والإيثار، والتضحية بالمال والنفس والأبناء و... كلّها مسائل مستلهمة من عاشوراء، وتظهر في الشعائر ويتم التأكيد عليها.

▪ لا شك في أنّ الشعائر الحسينية قد نجحت نجاحاً منقطع النظير في حفظ القضية الحسينية، وحفظ عقائد المؤمنين، وترويج معالم الدين، فما هي العناصر التي اشتملت عليها هذه الشعائر وحققت لها هذا النجاح؟

علينا أن نلتفت ونُلفت انتباه الآخرين إلى أن أهداف عاشوراء، وما تتضمنه الشعائر الحسينية من أسرار، ليست هي إلّا ما نادى به الإسلام من الشعارات والأهداف التي جاءت بها رسالة رسول الله ﷺ، فلا ينبغي أن يتخذ البحث طريقاً يوحي بأنّ الشعائر الحسينية شيء غير الإسلام الحقيقي، فالمهم هو عرض هذه الشعائر على أنها شعائر ساهمت مساهمة فعّالة في حفظ الإسلام الحقيقي وعدم ضياعه في ظل الحكومات الفاسقة والظالمة كدولة بني أُمية.

وبعبارة أُخرى: علينا ـ في الدرجة الأُولى ـ أن نفهم أن عاشور تمثّل حركة لإحياء الإسلام الحقيقي: إسلام العدالة والدفاع عن المحرومين والضعفاء الذين يرزحون تحت السلطة الفكرية لمحرّفي الدين، والذين يريدون للشعوب المستضعفة الابتعاد عن الإسلام. إن خطاب عاشوراء هو خطاب التوحيد والنبوّة والمعاد وإحياء الشريعة الأصيلة، والرجوع إلى التعاليم الدينية المستوحاة من القرآن الكريم والعترة الطاهرة ﷺ.

وهناك نقطة مهمة أُخرى يمكن التنبيه عليها، وهي: أنّ الشعائر الحسينية ـ خصوصاً تلك المتعلقة بالمجالس الحسينية ـ تُقدّم فرصة بالغة الأهمية للعلماء يمكن استثمارها لتعليم الناس مبادئ دينهم وتوعيتهم، وهذه الفرصة مهمّة جداً، يمكننا الاستفادة منها بالشكل الصحيح لهداية الأُمّة وإيصالها ـ عن طريق أهل البيت ﷺ ـ إلى الإسلام المحمدي الأصيل. وهنا لا بدّ من العمل بشكل دقيق؛ لوضع معايير وموازين تمكّن أفراداً يمتلكون وعياً دينياً واجتماعياً لارتقاء المنابر الحسينية.

▪ سماحة الشيخ، يحاول البعض عمداً أو سهواً أن يصوّر تشابهاً ما بين الشعائر الحسينية ومراسم وطقوس وثنية أو قومية قديمة جداً؛ بحجة أنّ هذه موروثة من تلك، فما هو جوابكم عن ذلك؟

تاريخ عاشوراء وشعائره تاريخٌ مضيء؛ لأنّ ذات الواقعة والأحداث التي تلتها وما جرى في الأُمّة الإسلامية بعد ذلك مذكورٌ في مصادر كثيرة؛ وطبقاً لذلك فهي ليست أمراً مخفياً أو مستتراً عن الأنظار، لكي يُبرَّر ويُسوَّغ لمن يريد الحديث عنها أن يعتمد الظن والحدس، فالتشيع ظاهرة اتضحت معالمها في المجتمع العربي في المدينة والكوفة، واستمرت على مدى ألف سنة في المناطق العربية، مثل: العراق والقطيف والإحساء ثم إيران، وهذا التشيع كان له دور أساسي ـ بل كان عاملاً مهماً ـ في إقامة الشعائر الحسينية في جميع تلك المناطق، كما أن كل حادثة تقع كانت بمرأى ومسمع من الجميع؛ وعلى هذا الأساس، إن كان هناك مَن يدعي شيئاً من الأُمور التي ذُكرت في السؤال المتقدم، فعليه أن يأتي بمصادره التاريخية، ولا يكتفي بمجرد التخمينات الناتجة عن التشابه في بعض المواطن بين الشعائر الحسينية وتلك الطقوس التقليدية فيجعلها أساساً للحديث عن الاقتباس، فمن الطبيعي أن يكون في الحضارة البشرية ـ التي محورها البشر ـ وجود أنحاء وأشكال للتشابه في أُمور الحياة والعادات والتقاليد، وهذا التشابه ينشأ من الإحساس المشترك الذي يمتلكه البشر، فعلى سبيل المثال: من الممكن أن يبكي الجميع في حالة العزاء، أو يلطموا على رؤوسهم ووجوههم، أو يختاروا لأنفسهم طريقة خاصة لإظهار العزاء، وهذا الأمر موجود في جميع الأديان والمذاهب والقوميات، فمن الممكن اقتباس بعض العادات من الثقافات الأُخرى، وليس هذا الأمر عجيباً، كما لا يدل هذا على التأثير والتأثر.

▪ يحاول البعض ـ لنفس الأغراض المتقدمة ـ أن يربط بعض الشعائر بالفلكلور الشعبي والإرث الحضاري؛ بدليل أن المجتمعات حديثة التكوّن، وليس لها هكذا شعائر، وبعضهم أرجعها إلى العقل الجمعي ـ سطوة أثر الجماعة على الفرد. كيف تقيّمون مثل هذا الكلام؟

في الإجابة عن السؤال السابق أُشير ـ إجمالاً ـ إلى الارتباط القائم بين الشعائر الدينية والتقاليد والعادات القومية والشعبية. هذه المسألة واجهتها جميع الأديان، والتي تسعى إلى تهذيبها وتشذيبها بشكل مستمر. وفي الواقع، إن الدين لمّا كان عقيدة رائجة في المجتمع يكون له نوع ارتباط بالمصادر الأساسية، ومن جهة أُخرى نجد له حضوراً في أعماق الفرد؛ وبالطبع فإن الروح الجماعية تنتج من ذلك، وتتأثر بالأجواء الحاكمة. فماذا يبتغي أُولئك المدعون من وراء طرح هكذا أُمور؟! وهل يدعو هكذا أمر إلى الترديد والتشكيك في أصل تلك المعتقدات أو الشعائر الأصيلة المستوحاة منها؟! ليس الأمر كذلك؛ إذ إن تشخيص الصحيح من غيره في الاعتقادات والشعائر له طرق عقلية خاصة، يجب أن يتم من خلالها تقييم تلك المعتقدات. ومثله بالنسبة لارتباط الشعائر بالمعتقدات، فيجب العمل على هذا النحو من خلال البحث والتحقيق في إطار المعتقدات الدينية من جهة، وارتباطها التاريخي بأصل تلك العادات من جهة أُخرى، فمن المستحيل أن يشيع دين في محيط خاص ولا يتأثر به بأيّ شكل من الأشكال، غاية الأمر أن على قادة ذلك الدين أن يراقبوا سير الأُمور بدقة بالغة؛ كي لا يؤدي نفوذ تلك الآداب والعادات الشعبية إلى خروج الدين وأفكاره والمبادئ الناشئة منه والشعائر المتعلقة به عن أُطر المعتقدات الحقيقية.

▪ سماحة الشيخ، نختم حوارنا معكم بكلمة أخيرة.

أعتقد أن الشعائر ـ كما أشرت سابقاً ـ تساعد على تعميق الأخلاق والاعتقاد الديني في المجتمع الشيعي، ولكن قد تكون سبباً لظهور بعض الآفات؛ نتيجة الممارسات المفرطة الخارجة عن المسار الصحيح التي تُنتج بدورها أحاسيس ومشاعر لا تنسجم مع الدين ولا تتلاءم معه. لقد طُرحت للدين معانٍ متعددة، ومع وجود اختلاف بسيط فيما بينها إلّا أن ذلك لا يوقعها في معرض الترديد والشبهة والشك. فالقول: إنّ التوحيد هو أساس الدين الإسلامي، يستدعي أن يؤخذ دائماً على أنه أصل من أُصول الدين. أو القول: إنّ الجزاء والعقاب في الآخرة تابع لأعمالنا وسلوكياتنا يُعدُّ أصلاً مهمّاً كذلك. أو أن تحديد الفروع والأُصول في المنظومة الدينية يُعدُّ كذلك أصلاً لا ينبغي أن نحيد عنه. وبالطبع، إذا كانت أعمالنا بشكل يتم من خلاله تغيير موقعية الله أو النبيّ أو الإمام في المنظومة الدينية، فإن ذلك لا يؤدي إلى الانحراف عن الصراط المستقيم فحسب، بل يؤدي إلى تحريض التيارات المعادية من داخل الإسلام علينا. وما ينبغي علينا فعله هو العمل على طبق هذه المفاهيم التي وضعها الدين الحنيف من دون تغييرها والتلاعب بها.

إن تحريف الشعائر، والميل بها من الجادة الوسط إلى الإفراط، يفتح الطريق أمام الآخرين للطعن بنا، وحينئذٍ نقع في دوامة الرد على قول مَن يدعي أن ما تقولونه هو من فعل العوام، وليس له ارتباط بعلماء الدين، فلا بدّ أن تكون هذه الملاحظات ماثلة أمام أعيننا عند النظر إلى مسألة الشعائر من زاوية الآفات والمشاكل التي تواجهها، ويلزمنا وضع الخطط والبرامج للوقاية منها وعدم الوقوع فيها؛ لنتجنّب بذلك الإفراط والغلو في تعاطينا مع الشعائر الحسينية المباركة.

المصدر: مجلة الاصلاح الحسيني، العدد ١٢